مجلة إسلامية ثقافية شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
التوحيد
العدد ٤٤٦ - السنة الثامنة والثلاثون - صفر ١٤٣٠هـ - الثمن ١٥٠ قرشا
غزة
ملف العدد غزة
بيان للناس .. وتعليق على الأحداث
نُصرة أهل غزة .. بين المشروعية والتدليس
أحداث غزة وحقيقة الصراع
وقفات مع مأساة غزة

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

مجلة التوحيد

إسلامية - ثقافية - شهرية

السنة الثامنة والثلاثون العدد ٤٤٦ صفر ١٤٣٠ هـ

غلاف العدد

رئيس مجلس الإدارة

د. جمال المراكبي

التحرير

٨ شارع قولة - عابدين - القاهرة

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩١٥٤٥٦

المركز العام

هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦



"السلام عليكم"

البناء المنهار

يستدل بعض الناس على شرعية المظاهرات بأن أصحاب النبي ﷺ لما رجعوا من غزوة مؤتة، وسمع أهل المدينة برجوعهم قادمين، تلقوهم فجعل الناس يحثون في وجوههم التراب ويقولون: يا فُرَّار، أفررتم من سبيل الله؟ فيقول رسول الله ﷺ : «ليسوا بفرار، ولكنهم كُرَّار إن شاء الله». انتهى.

والحق: هل كان معلومًا في أخلاق الصحابة سوء المعاملة والأدب مع المجاهدين ولو انهزموا في معركة، فضلاً عن كونهم رجعوا منتصرين؟

لم يفعلوها في أُحُد رغم الهزيمة فعلاً، ولم يُعيِّروا المجاهدين بالفرار أو يحثوا في وجوههم التراب مع حصول الهزيمة والفرار.

لقد رجع المجاهدون من غزوة مؤتة منتصرين، وأخبر رسول الله ﷺ الناس في المدينة بالنصر والفتح قبل أن يرجع المجاهدون، فقال النبي ﷺ : «أخذ الراية زيد فأصيب (أي: قُتل)، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب، حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم» [رواه البخاري].

فهل بعد ذلك يقال لهم: يا فُرار ويُستدل بذلك على شرعية المظاهرات؟ وقد أثبت أهل الحديث أن رواية ابن سعد: يا فرار؛ هذه بلا سند، ومن أسندها أسندها إلى من يضع الحديث، حتى علق عليها بعض علماء الحديث بقوله : إنها ميت لا يستحق العزاء.

التحرير

التوزيع الداخلي: مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني
حسين عطا القراط

في هذا العدد

ثمن النسخة

مصر ١٥٠ قرشا، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

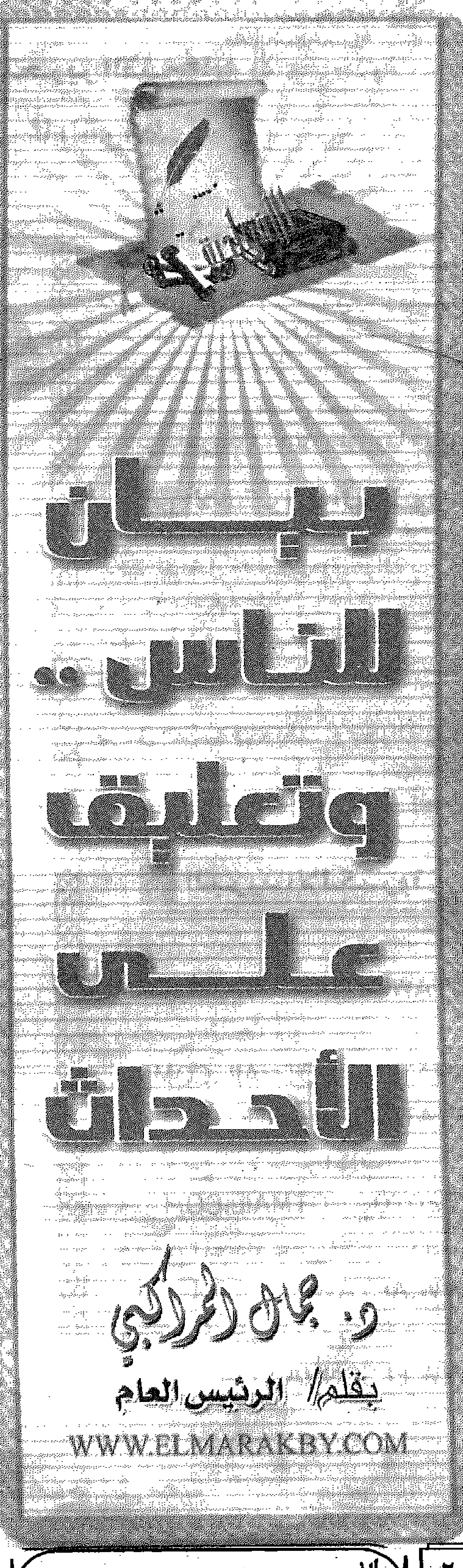
١. في الداخل ٢٠ جنيها (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).
٢. في الخارج ٢٠ دولارا أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلهما.
ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

البريد الإلكتروني

المجلة:
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM
التوزيع والاشتراكات:
SEE2070@HOTMAIL.COM
موقع المجلة على الإنترنت:
WWW.ALTAWHED.COM
موقع المركز العام:
WWW.ELSONNA.COM

٦٨٠ جنيها ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر
٢٣٠ دولارا لمن يطلبها خارج مصر شاملة سعر الشحن

منفذ البيع الوحيد بمقر مجلة التوحيد الدور السابع



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ،صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على طريقته واتبع هداه إلى يوم الدين وعلى رسل الله أجمعين،

أما بعد:

فإن كل مسلم غيور على دينه وأمته ليتقطع قلبه ألمًا وحسرة لما يراه في غزة من دماء تسيل وأشلاء تتطاير، وما يسمعه من أنات الجرحى وصرخات الثكلى ونداءات المستضعفين واستغاثات المستغيثين تحت وابل من القنابل والصواريخ والأسلحة المحرمة دوليًا ،مع صمت دولي ،وعجز عربي ،وتراشق بالاتهامات ;وصراخ التظاهرات ،وعصابة الصهاينة تعيث في الأرض فساداً وترتكب الجرائم والمجازر دونما رادع أو زاجر.

ما هذا الضعف الذي أصاب الأمة ؟

أمتي ماذا دهاها
أي خطب قد رماها
أمة ضلت وضاعت
أمة لانت وماعت
مهما لاقت من سقوطْ
باسْم ربي لن تموتْ

أولا: الأمة في زمن الغثائية لا تملك إنهاء الصراع لا سلماً ولا حربا

يخطئ من يظن أن الصراع بين المسلمين وبين اليهود، يمكن أن ينقضي بعملية سلام شامل وعادل كما يزعمون، إن السلام ليس سوى مجرد هدنة مؤقتة، سرعان ما تنتهي وتزول، واليهود

أهل غدر وخيانة، ونحن نراهم الآن يتفلتون من كل اتفاق أبرموه، لقد عاهدهم النبي ﷺ حين قدم المدينة ولكنهم سرعان ما نقضوا العهد فقاتلهم النبي ﷺ وأجلاهم عن المدينة، وحاصرهم بعد ذلك في خيبر حتى نزلوا على حكم الله وحكم رسول الله ﷺ.

اليهود والمسيح الدجال

لقد حذرنا النبي ﷺ من فتنة المسيح الدجال، وبين لنا أنه يملك الأرض في زمن هذه الفتنة فلا يمتنع عليه شيء منها سوى مكة والمدينة، فإنه لا يدخلها تمنعه ملائكة الله عز وجل، وأخبرنا أن أهل الكفر جميعًا يتابعونه، وأن اليهود جميعًا يكونون من جنده وشيعته، وأن المؤمنين لا يملكون إلا الفرار بدينهم من هذه الفتنة العظيمة التي يظهر فيها الكفر، ويكون فيها عز اليهود، ولكن الله سبحانه يتدارك بفضله ورحمته أولياءه المؤمنين فيعزهم وينصرهم، وينزل المسيح عيسى ابن مريم ويلتف حوله المؤمنون، فيقتل المسيح الدجال، ويذيق الله اليهود والكافرين بأسه بأيدي المؤمنين، فيقتل المسلمون اليهود، حتى إن اليهودي يختفي ويختبئ، فينادي الحجر وينادي الشجر جند المسلمين: يا مسلم، إن ورائي يهوديًا فاقتله.

فهذا وعد الله، ووعد رسول الله ﷺ، وإن الله لا يخلف الميعاد والأيام دول ,والصراع جولات ولكن النصر في النهاية سيكون لعباد الله المؤمنين.

لقد أخبرنا النبي ﷺ عن حالة الغثائية التي تصيب الأمة فقال: «لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى قَالَ: فَمَنْ».

أخرجه البخاري في: كتاب الاعتصام: باب قول النبي ﷺ لتتبعن سنن من كان قبلكم. وأخرجه مسلم في العلم باب اتباع سنن اليهود والنصارى.

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا. قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ، يَنْتَزِعُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ. قَالَ: قُلْنَا: وَمَا الْوَهْنُ ؟ قَالَ: حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ». رواه أحمد.

وقال رسول الله ﷺ: «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم». [صحيح سنن أبي داود، وانظر السلسلة الصحيحة (ح١١)].

والأمة في زمن الغثائية لا تزال تختلف حول توصيف القضية هل هي قضية الفلسطينيين وحقهم في إيجاد دولة لهم ؟

أم أن الصراع هو صراع قومي عربي إسرائيلي؟

أم هو صراع ديني يهدف إلى استرجاع الأراضي المقدسة من دنس المعتدين ؟

فما أحوج الأمة في زمن الغثاء أن تراجع دينها وأن تعتصم بربها وبدين ربها، وأن تترك أسباب الفرقة والضلال حتى يأتي نصر الله.

قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» [آل عمران: ١٠٠، ١٠١].

وقال الله تعالى: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا» [آل عمران: ١٠٣].

ثانياً: الجهاد في سبيل الله سبب النصر والتمكين

وللجهاد فوائد كثيرة، وحكم جليلة منها:

١- إظهار دين الله وإعزاز المسلمين وقمع الكافرين، قال تعالى: «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» [الصف: ٩].

٢- كسر شوكة المشركين، وتحقيق الأمن للمسلمين، قال تعالى: «وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ» «البقرة: ١٩٣»، وقال النبي ﷺ: «ليُتمن الله هذا الأمر، حتى يسير الراكب من بُصرى إلى صنعاء لا يخشى إلا الله». [صحيح سنن أبي داود].

٣- تمكن المسلمين من القيام بمصالح دينهم ودنياهم، ودعوة غير المسلمين لما فيه خير الدنيا والآخرة.

روى البخاري في صحيحه- كتاب الجزية والموادعة- من حديث جبير بن حية قال: فندبنا عمر، واستعمل علينا النعمان بن مقرن، حتى إذا كنا بأرض العدو، وخرج علينا عامل كسرى في أربعين ألفًا، فقام ترجمان فقال: ليكلمني رجل منكم، فقال المغيرة: سل عما شئت. قال: ما أنتم؟ قال: نحن أناس من العرب كنا في شقاء شديد، وبلاء شديد، نمص الجلد والنوى من الجوع، ونلبس الوبر والشعر، ونعبد الشجر والحجر، فبينا نحن كذلك إذ بعث رب السماوات ورب الأرضين تعالى ذكره وجلت عظمته إلينا نبيًا من أنفسنا، نعرف أباه وأمه، فأمرنا نبينا رسولُ ربنا ﷺ أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده، أو تؤدوا الجزية، وأخبرنا نبينا ﷺ عن رسالة ربنا أنه من قتل منا صار إلى الجنة في نعيم لم يُر مثله قط، ومن بقي منا ملك رقابكم. [ح٣١٥٩].

ولقد أظهرت المقاومة الباسلة في غزة أن الأمة إن سلكت سبيل الجهاد وأخذت بأسبابه، يسر الله لها سبيل النصر والتمكين.

ثالثاً: بيان للناس

البيان من رب العالمين ولكن لا يهتدي به إلا عباد الله المؤمنون المتقون ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حيي عن بينة.

قال الله تعالى: «هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ» [آل عمران: ١٣٨].

● البند الأول: مكاسب المؤمنين في الجنة:

قال تعالى: «وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ». [آل عمران: ١٣٩-١٤٢]

فلاَ تَضْعُفُوا عَنِ الجِهَادِ، وَمَا يَتَطَلَّبُهُ مِنْ حُسْنِ التَّدْبِيرِ وَالإِعْدَادِ، بِسَبَبِ ما أَصَابَكُمْ مِنَ القَتْلِ وَالجِرَاحِ، وَلاَ تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَقَدْتُمْ، فَإِنَّ العَاقِبَةَ وَالنَّصْرَ سَيَكُونَانِ لَكُمْ إِذَا تَمَسَّكْتُمْ بِحَبْلِ اللهِ، وَرَاعَيْتُمْ تَعَالِيمَهُ، فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ اللهِ أَنْ يَجْعَلَ العَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ.فأنتم وإياهم قد تساويتم في القرح، ولكنكم ترجون من الله ما لا يرجون كما قال تعالى: «إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ».

ومن الحكم في ذلك أن هذه الدار يعطي الله منها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، فيداول الله الأيام بين الناس، يوم لهذه الطائفة، ويوم للطائفة الأخرى؛ لأن هذه الدار الدنيا منقضية فانية، وهذا بخلاف الدار الآخرة، فإنها خالصة للذين آمنوا.

«وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا» هذا أيضا من الحكم أنه يبتلي الله عباده بالهزيمة والابتلاء، ليتبين المؤمن من المنافق؛ لأنه لو استمر النصر للمؤمنين في جميع الوقائع لدخل في الإسلام من لا يريده، فإذا حصل في بعض الوقائع بعض أنواع الابتلاء، تبين المؤمن حقيقة الذي يرغب في الإسلام، في الضراء والسراء، واليسر والعسر، ممن ليس كذلك.

«وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ» وهذا أيضًا من الحكم، لأن الشهادة عند الله من أرفع المنازل، ولا سبيل لنيلها إلا بما يحصل من وجود أسبابها، فهذا من رحمته بعباده المؤمنين، أن قيَّض لهم من الأسباب ما تكرهه النفوس، لينيلهم ما يحبون من المنازل العالية والنعيم المقيم، «وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ» الذين ظلموا أنفسهم، وتقاعدوا عن القتال في سبيله.

● البند الثاني: موقف أهل الإيمان من الأزمات وثوابهم:

قال تعالى: «وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» [آل عمران: ١٤٦-١٤٨].

● البند الثالث: الولاء والبراء يجلب تأييد الله عز وجل:

قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (١٤٩) بَلِ اللَّهُ مَوْلاَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (١٥٠) سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ» [آل عمران: ١٤٩-١٥١].

● البند الرابع: رحمة القائد برعيته، والله غالب على أمره:

قال تعالى: «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩) إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» [آل عمران: ١٥٩-١٦٠].

● البند الخامس: بشريات الشهداء:

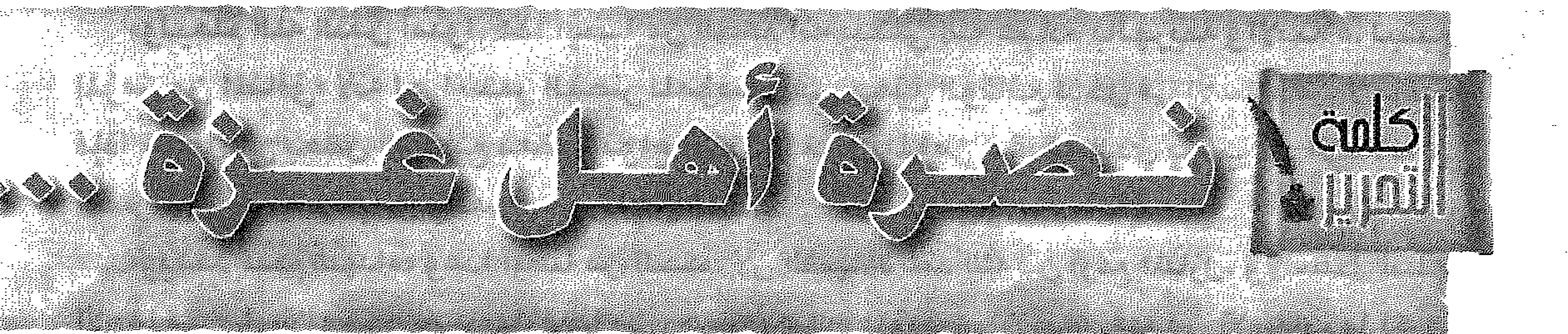
قال تعالى: «وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ» [آل عمران: ١٦٩-١٧١].

● البند السادس: أوامر ونواهٍ للمسارعين إلى الجنة، وصفات المتقين:

قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢) وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ» [آل عمران: ١٣٠-١٣٦].

«إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ». فهل من مدكر ؟

والله من وراء القصد.



الحمد لله الذي أكرم الأمة وأعزها بالإسلام، وجعل النصرة في دينه، وحذّر من مَغَبّة الخذلان.

وبعـــد:

فعلى مدى اثنين وعشرين يومًا.. وقطعة من ديار الأمة تحترق بنيران الصهاينة الملاعين، فعلى مرأى ومسمع من العالم المتحضر غزة الصامدة تصطلي بنيران الحقد اليهودي، والناس تجاه ما يحدث بين يائس قانط، وبين متفائل حَسن الظن بالله، نقول: إن الحياة التي نعيشها لا تصفو لمخلوق من الكدر، ففيها خيرٌ وشرٌ، وصلاح وفساد، وسرور وحزن، وأملٌ ويأسٌ، ويأتي الأمل والتفاؤل كشعاعين بنيران دياجير الظلام، ويشُقّان دروب الحياة للأنام، ويبعثان في النفس البشرية الجد والمثابرة، ويلقنانها الجلد والمصابرة.

فإن الذي يغري التاجر بالأسفار والمخاطرة أملُهُ في الأرباح، والذي يبعث الطالب إلى الجدُ والمثابرة، أمله في النجاح، والذي يُحَفِزُ الجندي على الاستبسال في أرض المعركة، أملُهُ في النصر، والذي يحبب إلى المريض الدواء، أمله في الشفاء، والذي يدعو المؤمن أن يخالف هواه ويطيع مولاه: أمله في الفوز بجنته ورضاه، وبقدر المنا لما حدث ووقع من مآسٍ وآلام، وقتل وتدمير، وحرق وتشريد، لإخواننا في غزة إلا أن التفاؤل يحدونا، فما بعد العسر إلا اليسر، وما بعد الظلام إلا انبثاق الصباح.

نصرة أهل غزة.. واجب تحتمه الأخوة

ومع ما حدث في غزة من مآسٍ وآلام، وجرائم حرب وحشية تعبر عن طبيعة مرتكبيها من أبناء القردة والخنازير، قتلة الأنبياء الذين لا يألون جهدًا في تصفية أهل غزة من المدنيين العزل، من الأطفال الأبرياء، من العجزة والنساء، فإن نصرة الفلسطينيين تصبح واجبة على كل مسلم، وإن الآيات والأحاديث التي تبين أن المسلمين أمة واحدة، وجسد واحد، وبنيان واحد، لتؤكد أهمية النصرة في الدين، وتحذر من مغبة الخذلان، والنكوص على الأعقاب، قال تعالى: «إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ» [الأنبياء: ٩٢]، وقال جلَّ من قائل: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ» [الحجرات: ١٠].

وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يَشُدّ بعضه بعضًا - وشبك بين أصابعه».

وأخرج أبو داود في سننه وأحمد في مسنده أن النبي ﷺ قال: «ما من امرئ يَخْذُلُ امْرَءًا مسلمًا في موضع تنتهك فيه حرمتُهُ ويُنْتَقَصُ فيه من عرضه، إلا خذله الله في موطنٍ يُحِبُّ فيه نُصْرَتَهُ، وَمَا مِن امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلمًا في مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فيه من عِرْضِهِ، ويُنْتَهَكُ فيه مِن حُرْمَتِهِ إلاَّ نَصَرَهُ الله في مَوْطِنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ».

وهن الأمة... والحاجة الماسة إلى التماسك

وإذا كنا نتحدث عن النصرة ومشروعيتها.. وفي ظل حالة الشلل التي أصابت الأمة أمام ما يقع عليها

بين المشروعية والتدليس

بقلم رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

من نكبات وضربات جعلت الأمة تَتَرنح أمام عدو غاشم، أمام سلوك حيواني بهيم لا يتأثر بما يفعل، فراح يضربُ بكل ما أوتي من قوة يستهدف الأطفال والنساء والعجزة، يضرب في سلوك مشين بكل قوة يهدم المنازل على ساكنيها، يضرب المساجد بحجة أن المقاتلين يحتمون بها، يضرب عربات الإسعاف التي تحمل الجرحى، ويمنعها من الوصول لإنقاذهم، محرقة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً، وقادة أمتنا تائهون بين صمت مميت، وتخاذل غريب، وتصريحات لا تكاد تُسْمِعُ إلا قائليها، وشجب على استحياء، ومناورات من المزايدين ممن يحاولون لبس عباءة الزعامة والرجولة والنخوة، يتهمون من حمل القضية على أكتافه عشرات السنين، وهم ينعمون في الرخاء، ويسكنون القصور الفارهة، ويمسكون بالأبواق المدوية، وإسرائيل على بُعد أمتار منهم، ويطلبون من مصر الخروج والانتفاضة، وعلى أراضيهم قواعد عسكرية، انطلقت من على ظهر بوارجها الطائرات تُؤمِنُّ أحفاد القردة والخنازير، وقذائف الفسفور الأبيض الذي زودت به البوارج الأمريكية في قاعدتها المركزية التي أمطرت بها إسرائيل قطاع غزة والتي تسبب حروقًا مروعة، وهو من الأسلحة المحرمة دوليًا، والتي استعملت إسرائيل الكثير منها، والقمم المحمومة التي عقدت هنا وهناك، والبيانات الرنانة التي لا تعبأ بها إسرائيل، بل اعتادت عليها وألفتها وسط حالة من الغليان الشعبي، والأسى والحزن، وإسرائيل تُعَرْبد في المنطقة كما تشاء.

وفي ظل تلك الحالة المزرية فإننا نجد أنفسنا في حاجة مُلحة بأن نستمسك برابطة العقيدة والدين، فهي الرابطة العظمى، التي تنكسر تحتها شوكة أهل الكفر والعدوان، وتترنح أمامها قوى الظلم والطغيان، يقول جل في علاه: «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» [التوبة: ٧١]، ويقول جل في علاه: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ» [الأنفال: ٧٣].

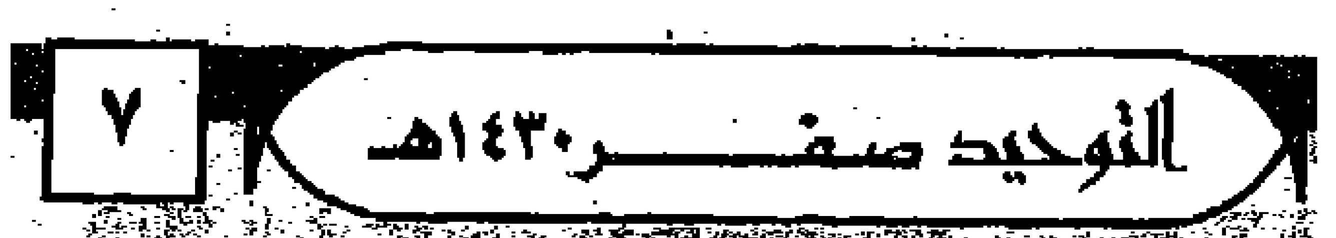
ويقول رسول الهدى ﷺ: «المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يدٌ على من سواهم». [أخرجه أبو داود (ح٢٧٥١)].

ويقول عليه الصلاة والسلام: «المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، يكف عليه ضَيْعَتَهُ ويَحوطه من ورائه». [أخرجه أبو داود (ح٤٩١٨)].

الابتلاء سنة ماضية... ومن المحن تأتي المنح

وإذا كنا نتحدث عن النصرة عند النكبات والكوارث، واستهداف الأعداء للأمة، فإن ما يحدث لأمتنا من قبيل الابتلاء، وأصل الابتلاء في اللغة الاختبار والامتحان، وهو الذي يميز الله به الخبيث من الطيب، وبذلك تتباين درجات الناس وتتحدد مقاديرهم ومنازلهم في الآخرة، والابتلاء كما يكون بالضراء يكون بالسراء، وكما يكون بالخير يكون بالشر، وكما يحدث البلاء للمؤمنين يحدث للكافرين، وله في ذلك كله الحكمة البالغة.

إن الابتلاء بالسراء والضراء، والحسنات والسيئات، والخير والشر هو سنة ربانية ماضية في الخلق.



فقد بَيَّن الله تعالى لنبيه ﷺ أن الابتلاء سنةٌ ماضية في الأمم الماضية، فقال تعالى: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ» [الأنعام: ٤٢]، وقد بين الله تعالى أنه ما أرسل من رسول إلى أمة من الأمم فعتوا عن أمره ونهيه وعصوا رسله، إلا ابتلاهم حتى يضرعوا له فيذلوا له ويستكينوا لعزته، قال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ» [الأعراف: ٩٤]، لم تكنُ العقوبات أو الابتلاءات عقاباً لهم، بل كانت تهدف إلى حمل الناس على التضرع إلى الله وحده، والخضوع لعظمته واللجوء إليه، لأن ترك اللجوء إلى الله والتذلل له خاصة عند الشدائد هو الاستكبار بعينه، والله تعالى قد بَيَّن علَّةَ ما يرسله من عذاب على من خالف أمره وأمر رسوله ﷺ، فقال: «فَلَوْلاَ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا» [الأنعام: ٤٣]، وقال: «وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ» [المؤمنون: ٧٦]، ولو أن الإنسان إذا جاءه بأس الله تضرع لله واستكان له لكشف عنه ما ألمَّ به، لكن الشيطان لا يزال يغوي بني آدم ويَعدهم ويمنيهم، كما قال تعالى: «وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» [الأنعام: ٤٣].

وقد يأتي بعد الابتلاء بالبأساء والضراء، الابتلاء بإغداق النعم الذي يعقبه العذاب والعقاب، أعاذنا الله من ذلك، كما قال تعالى: «فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ» [الأنعام: ٤٤]، فبدل الله ضيق عيشهم رخاءً وسعة، وبدَّل أمراضهم صحة في الأجسام، وسلامة في الأبدان، وقد فرحوا من شدة جهلهم بهذا التبديل، ولم يعلموا سُنة الله في الابتلاء، فأخذهم العذاب من حيث لا يشعرون.

البيت الأبيض ينعي قطة ابنتي بوش!!

في زمان العزة والكرامة والهيبة كان المسلمون كلما نزلت بهم نازلة فزعوا إلى ربهم، يطلبون منه العون والسداد والتوفيق، وكان من هديه ﷺ أنه كان إذا حَزَبَهُ شيء فَزِعَ إلى الصلاة، وأمر بلالاً رضي الله عنه أن ينادي بـ: «الصلاة جامعة»، أما في زمان الانكسار والتبعية، ومرارة الهزيمة النفسية التي تَغُصُ بها حلوق كثير من مسلمي الأمة في هذا الزمان إذا نزلت بساحتنا داهية من دواهي العصر، يفزع الناس إلى ألد أعدائهم يطلبون منهم النصرة والنجدة والتدخل السريع لإنقاذ الأمة مما حاق بها، وأصبحت السلبية متربعة على قلوب كثير من المسلمين، فالجماهير الغفيرة تخرج في كل مكان تطالب حكوماتها العاجزة المتخاذلة بأن تتحرك وتضغط على أمريكا، والحكومات المتخاذلة تطلب على استحياء من أمريكا أن تضغط على إسرائيل كي توقف عدوانها، وهكذا تدور الأمة في حلقةٍ مفرغة.

إن أمريكا قد أثبتت بالدليل القاطع وفي مواطن كثيرة أنها أشد عَداوة وضراوة من الكيان الصهيوني الغاصب لأرض فلسطين، وآلة الحرب الصهيونية القتالة التي تصول وتجول بها على شعب غزة الأعزل، في الوقت الذي تتقطع فيه قلوب المسلمين في شتى بقاع الأرض كمدًا وحزنًا على إخوانهم في غزة، خرج علينا زعيم دولة الدجال الراعية لكل طاغية وظالم على وجه الأرض (أمريكا) ليعلن بكل صلف أنه يتفهم موقف إسرائيل وحربها على غزة، وأنها في حالة دفاع عن النفس !!

لم يكتف العدو الأمريكي بما فعله بالأمة الإسلامية حتى خرج علينا المتحدث الرسمي باسم البيت الأبيض ناعيًا ومعزيًا الشعب الأمريكي، وشعوب كل البلاد الحرة والديمقراطية على رحيل القط المدلل لابنتي بوش، وقد ذكر النعي أن بوش وزوجته لورا يشعران بالحزن العميق والأسى البالغ لرحيل قطتهما المدللة، فإنه يقول للمسلمين: «إن آهات وأنات الجرحى والقتلى، لا قيمة لها ولا وزن لها، وإن الأذن الأمريكية صماء تمامًا تجاه كل ما يحدث للمسلمين، فلتذهب أيها الصليبي غير مأسوفٍ عليك، ارحل وعارك في يديك، انظر إلى صمت المساجد والمنابر تشتكي، ويصيح في أرجائها شبح الدمار، الآن ترحل غير مأسوفٍ عليك، وفي نفايات التاريخ سوف يطل وجهك، بين تجار الدمار وعصبة الطغيان، ارحل إلى كهوف الصمت

والنسيان، فالأرض تنزع من ثراها، كل سلطان تجبر وكل وغدٍ خائن، فاخلع ثيابك وارتحل فالأرض كلها ساخطة عليك !!

البيان المشبوه.. والضوابط الشرعية

بينما الأمة كلها تعتصر حزنًا وألمًا على ما يحدث لأهلنا في غزة وحالة الصمت العربي والإسلامي والدولي الرهيب، بين قرار من مجلس الأمن الأمريكي يُضرب به عرض الحائط، لأمين عام الأمم المتحدة يكلف نفسه بزيارة لغزة، وإذا به جزء من النظام الدولي المتآمر فيدخل غزة من إسرائيل، ولا يلتفت للدمار والخراب الذي أصاب كل بقعة في غزة، بل زار مدارس الأنروا التابعة للأمم المتحدة والتي كان يحتمي فيها الفلسطينيون من الدمار والقتل والخراب ودمرتها إسرائيل غير غابئة بأي شيء، ومنها عاد إلى حيث أتى وأعلن عن تشكيل لجنة للتحقيق في ضرب المدارس متناسيًا كل ما حدث في كل بقعة من أرض غزة وأسلحة الدمار المحرمة دوليًا والتي استعملها الصهاينة ضد أهل غزة.

يخرج علينا وسط كل هذه المآسي والأحزان من يدلس بيانًا لم نره ولم نقرأه إلا كما قرأه جموع المسلمين على «شبكة المعلومات: الإنترنت» بعد أن أذاعته قناة الجزيرة موقعًا عليه من مائة واثنين من العلماء والمشايخ من أنحاء العالم، ومتذيلاً بتوقيعات سبعة من مشايخ أنصار السنة، منهم الرئيس العام، ونائب الرئيس، ورئيس التحرير، والشيخ زكريا حسيني، والشيخ جمال عبد الرحمن، والشيخ معاوية هيكل، والشيخ أسامة سليمان، والشيخ علي حشيش، والدكتور حمدي طه.

والبيان يبدو أنه صدر عمن أعمتهم الحقيقة عن منهج أنصار السنة المحمدية، وعدم معرفتهم بمنهج أهل السنة والجماعة، فليس هذا منهجهم، وليست هذه عقيدتهم، فالله سبحانه يقول: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً» [النساء: ٥٩]، والآية تنص على وجوب طاعة أولي الأمر في المعروف، وقد جاءت السنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ تبين أن هذه الطاعة لازمة، وهي فريضة في المعروف. وتفيد الآية بأن المراد طاعتهم في المعروف، فيجب على المسلمين طاعة ولاة الأمر في المعروف، فإذا أمروا بالمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وقال عليه الصلاة والسلام: «على المرء السمع والطاعة في ما أحب وكره، في اليسر والعسر، في المنشط والمكره، إلاَّ أن يؤمر بمعصية الله، فإن أمر بمعصية الله فلا سمع ولا طاعة».

ولما ذكر رسول الله ﷺ أنه يكون امراء تعرفون منهم وتنكرون. قالوا: فما تأمرنا ؟ قال: «أدوا إليهم حقهم واسألوا الله الذي لكم». قال عبادة رضي الله عنه: بايعنا رسول الله ﷺ على ألا ننازع الأمر أهله. قال: «إلاَّ أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان».

وهذا يدل على أنه لا يجوز منازعة ولاة الأمور ولا الخروج عليهم إلاَّ أن يروا كفرًا بواحًا عندهم من الله فيه برهان، وما ذاك إلاَّ لأن الخروج على ولاة الأمور يسبب فسادًا كبيرًا وشرًا عظيمًا، فيختل به الأمن، وتضييع الحقوق، وتعم الفوضى، وهذا ما لا يرضاه مسلم يحب الله ورسوله.

وفي الختام نقول: إن عقيدتنا التي ندين الله عز وجل بها هي عقيدة أهل السنة والجماعة والتي تنص في هذا الباب على ما يلي: «ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يدًا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة، ونتبع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة».

فاللهم وفقنا إلى ما تحب وترضى، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب التفسير

تفسير سُور الزَّلزلة والعاديات والقارعة

إعداد: د/ عبد العظيم بدوي

تفسير سورة الزلزلة

يقول الله تعالى: «إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)» [الزلزلة: ١-٨].

بين يدي السورة

سورةٌ مكية، واسمها يدل على موضوعها، فهي هزةٌ عنيفة للقلوب الغافلة، هزةٌ يشتركُ فيها الموضوعُ والمشهدُ، وصيحةٌ قوية مزلزلة للأرض ومن عليها، فما يكادون يفيقون حتى يواجههم الحسابُ والوزن والجزاء.

تفسير الآيات

قوله: «إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا» وذلك يوم يُنفخُ في الصور، فيبعثر ما في القبور، «وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا»، كما قال تعالى: «وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ»، وكأن الأموات كانوا ثقلاً عليها، فما أن أُذن لها في إخراجهم حتى «أَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ»، «وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا»؟ أي: ما الذي أصابها ؟ وما الذي جعلها تهتز وتضطرب بعدما كانت قارَّةً ساكنةً ثابتةً، لقد عرف الإنسان في الدنيا الزلازل والبراكين، لكنه الآن يرى زلزلةً دونها كل ما رأى من الزلازل، «إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢)» [الحج: ١، ٢]، «يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا» أي: تحدثُ بما عَمِلَ العاملون على ظهرها، وذلك أن الأرض من جملة الشهود التي تشهد على الإنسان.

وقوله تعالى: «بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا» يعني: إنما «أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا» وحدَّثتْ أخبارها بسبب أن الله أذن لها، أي: أمرها فـ «أَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ» [الانشقاق: ٥].

وقوله تعالى: «يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا» أي: جماعات متفرقين مختلفين، «لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ» كما قال تعالى: «أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (٣٨) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى» [النجم: ٣٦-٤١]، «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ»، «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا» [النساء: ٤٠]، «وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ» [الأنبياء: ٤٧]، ولذا كان من وصايا لقمان لابنه وهو يعظه: «يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ» [لقمان: ١٦].

فيا عبد الله: لا تحقرن من المعروف شيئًا، فعسى أن تثقل به موازينك، ولا تحتقرن من المنكر شيئًا فعسى أن تخف به موازينك.

خَلِّ الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى
واصنع كماشٍ فوق أرض الشوك يحذر ما يرى، لا تحقرنّ صغيرة إن الجبال من الحصى

تفسير سورة العاديات

يقول تعالى: «وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (٥) إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ» [العاديات: ١- ١١].

بين يدي السورة

سورة مكية، استفتحت بالقسم بخيل المجاهدين في سبيل الله، على أن الإنسان كفور لنعمة الله تعالى، شديد الحب للمال، الذي لا ينفعه «إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ»، «يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

تفسير الآيات

قوله: «وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا» هذه كلها خيلُ الخير، خَيلُ المجاهدين في سبيل الله، يُقْسِمُ الله تعالى بها تكريمًا لها، وهي عُدة الجهاد التي عرفها العرب، وعليها كانوا يُقاتلون.

والعاديات: الخيلُ حين تَعْدُو أي: تجري، والضَّبْحُ هو الصوتُ الذي يُسْمَع من الفرس حين تعدو. «فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا» يعني: اصطكاك نعالها بالصَّخْرِ فتقدح منه النار، «فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا» يعني: الإغارة وقت الصبح، كما كان رسول الله ﷺ يفعل، كان إذا غزا قومًا بات قريبًا منهم، فإذا أصبح استمع الأذان، فإن سَمِعَ أذانًا وإلا أغار.

«فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا» يعني: غبارًا في مكان معترك الخيول. «فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا» أي: أَوْسَطْنَ ذلك المكان كلهن جمعًا.

جواب القسم: «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ» يجحد الفضل ويكفر النعمة، يَعُدُّ المصائب وينسى النعم، «وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ» يعني: أنه شهيدٌ على نفسه بلسان حاله، «وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ»، والخيرُ هو المال، كما قال تعالى: «كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ» [البقرة: ١٨٠]، يعني: إن ترك مالاً كثيراً، وقد صرح ربنا بذلك، فقال: «وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا» [الفجر: ٢٠]، حتى «أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ» [التكاثر: ١]، عن ذكر الموت والآخرة، «أَفَلَا يَعْلَمُ» الإنسان أنه «إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ» لا ينفع مالٌ ولا بنون، إنما «حُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ» لا ما في الجيوب والبنوك، «وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ» [الأنعام: ٩٤]، يتبع الميت ثلاثةٌ: أهله وماله وعمله، فيرجع اثنان ويبقى واحد؛ يرجع أهله وماله، ويبقى عمله. [متفق عليه].

«إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ»: يجمع ما كانوا يعملون، وسوف يجزيهم عليه أوفر الجزاء، «وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا» [الكهف: ٤٩]، فـ «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» [المنافقون: ٩-١١].

تفسير سورة القارعة

قال تعالى: «الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (٥) فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ» [القارعة: ١- ١٠].

بين يدي السورة

سورةٌ مكية، والقارعة اسم من أسماء يوم القيامة، كالحاقة، والصاخة، والغاشية، واسمها يدل على موضوعها، فهي تعرض مشهدًا من مشاهد القيامة، وتُخْتم ببيان مصير الناس: «فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ».

«الْقَارِعَةُ»: من أسماء القيامة، سُميت كذلك ؛ لأنها تقرع آذان الناس، وأصل القرع الدق بشدة، «مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ» إنّ هَوْلها أعظم وأكبر مما تتصور، فإنه لم يقرع سمعك شيء مثل القارعة: «يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ» وذلك حين يقومون من قبورهم، كما قال تعالى: «يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ (٦) خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ» [القمر: ٦، ٧]، «وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ»، «وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا» [الواقعة: ٥، ٦]، «وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا» [النبا: ٢٠]، ثم تُنْسَفُ نَسْفًا فلا يبقى لها عين ولا أثر، كما قال تعالى: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا» [طه: ١٠٥، ١٠٦]، هذا هو مشهد القيامة الذي تعرضه الآيات.

أما نهايةُ الناس، فيقول تعالى: «فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ»، والطفل يأوي إلى أمه فيجد عندها الأمن والأمان والسلام، وما تشتهيه نفسُه، ترى ماذا يجد الكافر إذا أوى إلى أمه الهاوية؟! «وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ».

وقد كثر ذكر الميزان في القرآن، وهو يكونُ بعد الحساب ؛ لأن الحساب إنما هو تقرير للأعمال، وأما الميزان فهو إظهار لقدرها وقيمتها، واختلف العلماء في الموزون ما هو ؟ فقال بعضهم: توزنُ الأعمال نفسها، ومما استدلوا به قول النبي ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم». [البخاري ٦٤٠٦].

وقوله ﷺ: «الطهور شطرُ الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن - أو تملأ - ما بين السماوات والأرض». [مسلم ٢٢٦].

واعترض عليهم بأن الأعمال أعراضٌ وليست أجساماً، فكيف توزن ؟

فأجابوا: بأن الأعمال تُقلبُ أجساماً يوم القيامة، فقد أخبرنا النبي ﷺ أن الميت إذا دُفِنَ أتاه عمله في صورة إنسانٍ جميلٍ أو قبيحٍ حَسَبَ صلاح عمله وفساده. كما أخبرنا النبي ﷺ أن الموت يأتي يوم القيامة كبشًا أقرن، فيُذبح على سور بين الجنة والنار، ويُنادى: يا أهل الجنة، خلودٌ بلا موت، ويا أهل النار، خلود بلا موت. [متفق عليه].

وقال بعضُ العلماء: إنما تُوزن صحائف الأعمال ؛ لقول النبي ﷺ: «إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عُذْرٌ ؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتُخرج بطاقة فيها: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»، فيقول: احضر وزنك. فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقال: فإنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيء». [صحيح رواه الترمذي ٢٧٧٦ / ١٣٣ / ٤].

وقال جماعة: إنما يوزن العامل نفسه ؛ لقوله ﷺ: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة». [متفق عليه].

وقوله ﷺ في ساقي ابن مسعود وقد ضحك القوم من دقتهما، فقال ﷺ: «والذي نفسي بيده، لهما أثقل في الميزان من جبل أحد». [تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ص٨٥].

ولا مانع من الجمع بين الأقوال كلها بقول: إن الذي يوزن هو العامل وصحيفةُ الأعمال والعمل نفسه: «فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ».

وهناك صِنفٌ ثالثٌ وهم الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم، فمنعتهم حسناتهم من دخول النار، وقعدت بهم سيئاتهم عن دخول الجنة، وهؤلاء يُحبسون على الأعراف - سور بين الجنة والنار - ثم يتغمدهم الله برحمته، فيدخلهم الجنة.

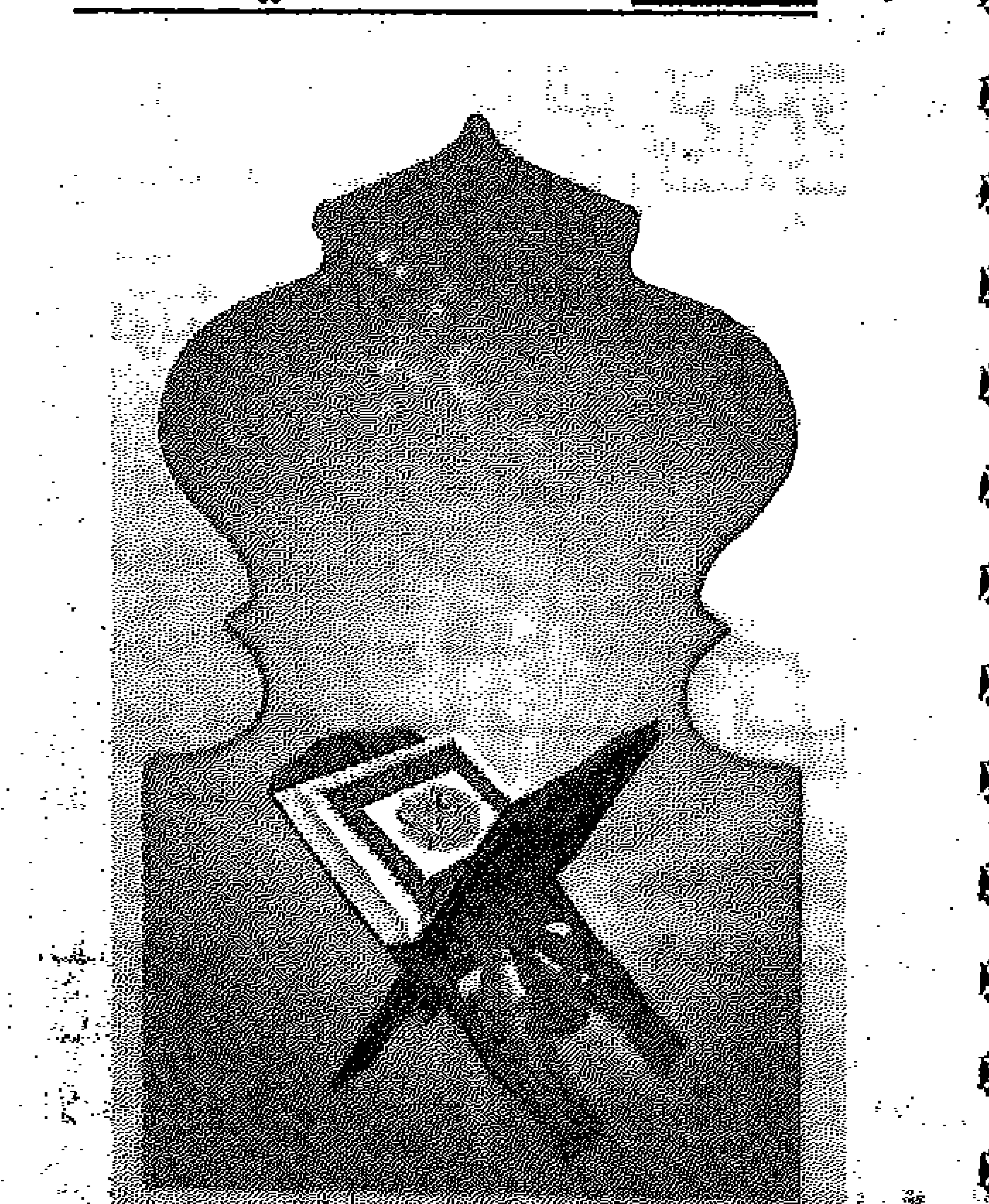
اللهم ثقل موازيننا، وبيض وجوهنا، واجعلنا من ورثة جنة النعيم.

باب السنة

قصة صلح الحديبية والدروس المستنبطة منها

الحلقة الثالثة

إعداد/ زكريا حسيني محمد



الحمد لله، الواحد الأحد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي أرسله ربه كافة للناس بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين... وبعد:

فنكمل بعون الله تعالى شرح حديث قصة الحديبية، ثم نبين ما يستفاد من القصة من دروس وعبر.

قوله: «فابعثوها له». أي: أثيروها دفعة واحدة.

قوله: «وهو رجل فاجر»: قال الحافظ: في رواية ابن إسحاق: «غادر» وهو أرجح، فإني ما زلت متعجبًا من وصفه بالفجور مع أنه لم يقع منه في قصة الحديبية فجور ظاهر، بل فيها ما يشعر بخلاف ذلك، كما جاء في كلامه في قصة أبي جندل. ولقد جاء في مغازي الواقدي ما يفيد أن مكرزًا كان معروفًا بالغدر.

قوله: «قال معمر: فأخبرني أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل» قال الحافظ ابن حجر: هذا موصول إلى معمر بالإسناد المذكور أولاً، وهو مرسل.

قوله: «فقال: هات اكتب بيننا وبينك كتابًا». وفي رواية ابن إسحاق: «فلما انتهى إلى النبي ﷺ جرى بينهما القول حتى وقع بينهما الصلح على أن توضع الحرب بينهما عشر سنين وأن يأمن الناس بعضهم بعضًا، وأن يرجع عنهم عامهم هذا».

قوله: «فدعا النبي ﷺ الكاتب» هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما مضى في الصلح من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

قوله: «هذا ما قَاضَى» على وزن «فَاعَلَ» من قضيت الشيء أقضيه. وفيه جواز كتابة مثل ذلك في المعاقدات والرد على من منع ذلك معللاً بخوف أن يظن أن ما نافية.

قوله: «لا تتحدث العرب أننا أخذنا ضُغْطَةً» أي: قهرًا، وفي رواية ابن إسحاق: «أنه دخل علينا عَنْوَة».

قوله: «فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل - وإن كان على دينك - إلا رددته إلينا». في رواية ابن إسحاق «على أنه من أتى محمدًا من قريش بغير إذن وليه رَدَّه عليهم، ومن جاء قريشًا ممن مع محمد لم يردوه عليه»، وهذه الرواية تعم الرجال

والنساء، وقد تقدم في أول كتاب الشروط من رواية عقيل عن الزهري بلفظ: «ولا يأتيك منا أحد» فهل دخلت النساء في هذا الصلح ثم نسخ ذلك الحكم فيهن، أو لم يدخلن إلا بطريق العموم فخصص ؟ وفي رواية ابن إسحاق زيادة: «وأن بيننا عَيْبَةً مكفوفة، وأنه لا إسلال ولا إغلال». أما العيبة المكفوفة فأراد بها الصدور السليمة المطوية على ما فيها لا تبدي عداوة، وأما الإسلال فالمراد به السرقة الخفية، والإغلال الخيانة.

قوله: «قال المسلمون: سبحان الله، كيف يُرَدُّ ؟» في رواية عقيل أول الشروط: «وكان فيما اشترط سهيل على النبي ﷺ أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا وخليت بيننا وبينه، فكره المؤمنون ذلك وامتعضوا منه، وأبى سهيل إلا ذلك. فكاتبه النبي ﷺ على ذلك، فَرَدَّ يومئذ أبا جندل إلى أبيه سهيل بن عمرو، ولم يأته أحد من الرجال في تلك المدة إلا رده». ولمسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن قريشًا صالحت النبي ﷺ على أنه من جاء منكم لم نرده عليكم، ومن جاءكم منا رددتموه إلينا، فقالوا: يا رسول الله، أنكتب هذا ؟ قال: نعم، إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاء منهم إلينا فيسجعل الله له فرجًا ومخرجًا».

قوله: «قال أبو جندل: أي معشر المسلمين، أرد إلى المشركين ؟ إلخ» زاد ابن إسحاق: «فقال رسول الله ﷺ: يا أبا جندل ؛ اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحًا، وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله، وإنا لا نغدر بهم». قال: فوثب عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أبي جندل يمشي إلى جنبه، ويقول: اصبر يا أبا جندل، فإنما هم المشركون، وإنما دم أحدهم كدم كلب. قال: ويدني قائمة السيف منه قال: يقول عمر: رجوتُ أن يأخذ السيف فيضرب به أباه، قال: فضنَّ الرجل بأبيه، ونفذت القضية. ونقل ابن حجر عن الخطابي: تأول العلماء ما وقع من قصة أبي جندل على وجهين: أحدهما أن الله قد أباح التقية للمسلم إذا خاف الهلاك، ورخص له أن يتكلم بالكفر مع إضمار الإيمان إن لم يمكنه التورية، فلم يكن رده إليهم إسلامًا لأبي جندل إلى الهلاك مع وجوده السبيل إلى الخلاص من الموت بالتقية.

والوجه الثاني أنه إنما رده إلى أبيه، والغالب أن أباه لا يبلغ به الهلاك، وإن عذبه أو سجنه فله مندوحة بالتقية أيضًا، وأما ما يخاف عليه من الفتنة فإن ذلك امتحان من الله يبتلي به صبر عباده المؤمنين.

واختلف العلماء هل يجوز الصلح مع المشركين على أن يرد إليهم من جاء مسلمًا من عندهم إلى بلاد المسلمين أم لا ؟ فقيل: نعم على ما دلت عليه قصة أبي جندل وأبي بصير، وقيل: لا، وأن الذي وقع في القصة منسوخ، وأن ناسخه حديث: «أنا بريء من مسلم يقيم بين مشركين».

قوله: «قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً». قال الحافظ في الفتح: قال بعض الشراح: «قوله أعمالاً» أي: من الذهاب والمجيء والسؤال والجواب، ولم يكن ذلك شكا من عمر، بل طلبًا لكشف ما خفي عليه، وحثًا على إذلال الكفار لما عرف من قوته في نصرة الدين. اهـ.

قال الحافظ: وتفسير الأعمال بما ذكر مردود، بل المراد به الأعمال الصالحة ليكفر عنه ما مضى من التوقف في الامتثال ابتداءً، وقد ورد عن عمر رضي الله عنه التصريح بمراده بقوله: «أعمالاً»: ففي رواية ابن إسحاق: «وكان عمر يقول: ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ، مخافة كلامي الذي تكلمت به». وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند الواقدي: «قال عمر: لقد أعتقت بسبب ذلك رقابًا، وصمت دهرًا». وأما قوله: «ولم يكن شكا» فإنه إن أراد نفي الشك في الدين فواضح، وإن أراد نفي الشك في وجود المصلحة وعدمها فمردود.

والذي يظهر أنه توقف منه ليقف على الحكمة في القصة وتنكشف عنه الشبهة.

قوله: «فوالله ما قام منهم رجل» قيل كأنهم توقفوا لاحتمال أن يكون الأمر للندب، أو لرجاء نزول الوحي بإبطال الصلح المذكور، أو تخصيصه بالإذن بدخولهم مكة ذلك العام لإتمام نسكهم، وسوغ لهم ذلك لأنه كان زمان وقوع النسخ، ويحتمل أن يكون أَلْهَتْهُمُ صورة الحال فاستغرقوا في الفكر لما لحقهم من الذل عند أنفسهم مع ظهور قوتهم واقتدارهم في اعتقادهم على بلوغ غرضهم وقضاء نسكهم بالقهر والغلبة.

قوله: «ثم جاءه نسوة مؤمنات... إلخ». ظاهره أنهن جئن إليه وهو بالحديبية، وليس كذلك، وإنما جئن إليه بَعْدُ في أثناء المدة.

قوله: «ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة فجاءه أبو بصير»: أبو بصَير بفتح الباء وكسر الصاد، وهو رجل من قريش اسمه عُتَيْبَةُ بن أسيد بن جارية الثقفي حليف بني زهرة.

قوله: «فأرسلوا في طلبه رجلين». قال الحافظ في الفتح: سماهما ابن سعد في الطبقات: خُنَيْسُ بن جابر ومولى له يقال له: كوثر، قال: وفي الرواية الآتية آخر الباب أن الذي أرسل في طلبه الأخنس بن شريق، زاد ابن إسحاق: «فكتب الأخنس بن شريق

والأزهر بن عبد عوف إلى رسول الله ﷺ كتابًا وبعثا به مع مولى لهما ورجل من بني عامر استأجراه ببكْرَيْن». اهـ.

والأخنس من ثقيف رهط أبي بصير، والأزهر من بني زهرة حُلفاء أبي بصير، فلكل منهما المطالبة برده، ويستفاد منه أن المطالبة بالرد تختص بمن كان من عشيرة المطلوب بالأصالة أو الحلْف.

قوله: «فدفعه إلى الرجلين» في رواية ابن إسحاق: «فقال رسول الله ﷺ: يا أبا بصير، إن هؤلاء القوم صالحونا على ما علمت، وأنا لا نغدر، فالحَقْ بقومك». فقال: أتردني إلى المشركين يفتنونني عن ديني ويعذبونني؟ قال: «اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك فرجًا ومخرجًا».

قوله: «فنزلوا يأكلون من تمر لهم». في رواية الواقدي: «فلما كانوا بذي الحليفة دخل أبو بصير المسجد فصلى ركعتين وجلس يتغدَّى، ودعاهما فقدم سفرة لهما فأكلوا جميعًا».

قوله: «فضربه به حتى بَرَدَ» أي: خمدت حواسه، وهي كناية عن الموت، لأن الميت تسكن حركته.

قوله: «قُتِلَ صاحبي وإني لمقتول» في رواية ابن إسحاق: «قَتَلَ صاحبُكم صاحبي»، وإني لمقتول، أي إن لم تردوه عني.

قوله: «قد والله أوفى الله ذمتك» أي: فليس عليك منهم عقاب فيما صنعتُ أنا، زاد الأوزاعي عن الزهري: «فقال أبو بصير: يا رسول الله، عرفتُ أني إن قدمت عليهم فتنوني عن ديني ففعلت ما فعلت، وليس بيني وبينهم عهد ولا عقد». اهـ.

قوله: «ويلُ امِّه» بضم اللام ووصل الهمزة وكسر الميم المشددة، وهي كلمة ذم تقولها العرب في المدح، ولا يقصدون معنى ما فيها من الذم؛ لأن الويل: الهلاك.

قوله: «مسْعَرَ حَرْبٍ» منصوب على التمييز، أي: يسعرها، قال الخطابي: كأنه يصفه بالإقدام في الحرب والتسعير لنارها.

قوله: «حتى أتى سِيْفَ البحر» أي: حتى أتى ساحل البحر، وعين ابن إسحاق المكان فقال: «حتى نزل العِيْصَ» وكان طريق أهل مكة إذا قصدوا الشام. وهو يحاذي المدينة من جهة الساحل.

قوله: «وينفلت منهم أبو جندل» أي: من أبيه وقومه.

قوله: «حتى اجتمعت منهم عصابة» أي: جماعة، ولا واحد لها من لفظها. وتطلق على الأربعين فما دونها. وقيل: إن عددهم كان سبعين أو أكثر.

قوله: «فأرسلت قريش» في رواية أبي الأسود عن عروة: فأرسلوا أبا سفيان بن حرب إلى رسول الله ﷺ يسألونه ويتضرعون إليه أن يبعث إلى أبي جندل ومن معه، وقالوا: ومن خرج منا إليك فهو لك حَلال من غير حرج.

قوله: «فأرسل النبي ﷺ إليهم» في رواية موسى بن عقبة عن الزهري: «فكتب رسول الله ﷺ إلى أبي بصير، فقدم كتابه وأبو بصير يموت، فمات وكتاب رسول الله ﷺ في يده، فدفنه أبو جندل مكانه، قال: وقدم أبو جندل إلى المدينة فلم يزل بها إلى أن خرج إلى الشام مجاهدًا فاستشهد في خلافة عمر، قال: فعلم الذين كانوا أشاروا بأن لا يُسَلَّم أبو جندل إلى أبيه أن طاعة رسول الله ﷺ خير مما كرهوا».

قوله: «فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ كذا هنا، وظاهره أنها نزلت في شأن أبي بصير، وفيه نظر، والمشهور في سبب نزولها ما أخرجه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع، ومن حديث أنس بن مالك أيضًا، وأخرجه أحمد والنسائي من حديث عبد الله بن مغفل بإسناد صحيح أنها نزلت بسبب القوم الذين أرادوا من قريش أن يأخذوا من المسلمين غرة فظفروا بهم، فعفا عنهم النبي ﷺ، فنزلت الآية، وقيل في نزولها غير ذلك.

قوله: «وما نعلم أحدًا من المهاجرات ارتدت بعد إيمانها». هو كلام الزهري، وأراد بذلك الإشارة إلى أن المعاقبة المذكورة بالنسبة إلى الجانبين إنما وقعت في الجانب الواحد، لأنه لم يعرف أحدًا من المؤمنات فرت من المسلمين إلى المشركين بخلاف عكسه. وقد ذكر ابن أبي حاتم من طريق الحسن أن أم الحكم بنت أبي سفيان ارتدت وفرت من زوجها عياض بن شداد فتزوجها رجل من ثقيف، ولم يرتد من قريش غيرها، ولكنها أسلمت بعد ذلك مع ثقيف حين أسلموا، فإن ثبت ذلك فيجمع بينه وبين قول الزهري بأنها لم تكن هاجرت فيما قبل ذلك. والله أعلم.

ما يستفاد من القصة من دروس وعبر

١- جواز الاستتار عن طلائع المشركين ومفاجأتهم بالجيش طلبًا لغرتهم.

٢- جواز سفر الإنسان وحده لحاجة.

٣- جواز ترك الطريق السهلة إلى الوعرة طلبًا للمصلحة.

٤- جواز الحكم على الشيء بما عرف من عادته وإن جاز أن يطرأ عليه غيره، فإذا وقع من شخص هفوة لا يعهد منه مثلها لا ينسب إليها ويرد على من نسبه إليها.

٥- معذرة من نسب شيئًا إلى شخص لا يعرف حاله، وغلب على ظنه نسبته إليه.

٦- جواز التصرف في ملك الغير بالمصلحة بغير إذنه الصريح إذا كان سبق منه ما يدل على الرضا بذلك.

٧- جواز ضرب المثل، واعتبار من بقي بمن مضى.

٨- وقوع معجزات ظاهرة للنبي ﷺ كنبع الماء من بين أصابعه ﷺ، وتكثير الماء في البئر التي غار مَاؤها.

٩- بركة سلاحه ﷺ وما ينسب إليه.

١٠- جواز استنصاح بعض المعاهدين وأهل الذمة إذا دلت القرائن على نصحهم وشهدت التجربة بإيثارهم أهل الإسلام على غيرهم ولو كانوا من أهل دينهم.

١١- جواز استنصاح بعض ملوك العدو استظهارًا على غيرهم، ولا يعد ذلك من موالاة الكفار ولا موادة أعداء الله، بل من قبيل استخدامهم وتقليل شوكة جمعهم وإنكاءِ بعضهم ببعض.

١٢- الندب إلى صلة الرحم، والإبقاء على من كان من أهلها، وبذل النصيحة للقرابة.

١٣- ما كان عليه النبي ﷺ من القوة والثبات في تنفيذ حكم الله وتبليغ أمره.

١٤- جواز النطق بما يستبشع من الألفاظ لإرادة زجر من بدا منه ما يستحق به ذلك.

١٥- جواز القيام على رأس الأمير بالسلاح بقصد الحراسة ونحوها من ترهيب العدو، ولا يعارضه النهي عن القيام على رأس الجالس لأن محله ما إذا كان على وجه العظمة والكبر.

١٦- طهارة النخامة والشعر المنفصل، وجواز التبرك بفضلات النبي ﷺ.

١٧- جودة عقل عروة بن مسعود ويقظته.

١٨- ما كان عليه الصحابة من المبالغة في تعظيم الرسول ﷺ وتوقيره ومراعاة أموره وردع من جفا عليه بقول أو فعل.

١٩- جواز المخادعة في الحرب وإظهار إرادة الشيء والمقصود غيره.

٢٠- أن كثيرًا من المشركين كانوا يعظمون الحرم، وينكرون على من يصد عن ذلك.

٢١- جواز البحث في العلم حتى يظهر المعنى، وأن الكلام يحمل على عمومه وإطلاقه حتى تظهر إرادة التخصيص والتقييد.

٢٢- أن من حلف على فعل شيء ولم يذكر مدة معينة لم يحنث حتى تنقضي أيام حياته.

٢٣- جلالة قدر أبي بكر الصديق رضي الله عنه وسعة علمه، وأنه أكمل الصحابة وأعرفهم بأحوال رسول الله ﷺ.

٢٤- فضيلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وحرصه الشديد على إذلال الكفار، وقوته في نصرة دين الله.

٢٥- بيان أن الدين ليس بالرأي ولا بالعقل وإنما هو بالوحي.

٢٦- أن النبي ﷺ ضرب لنا المثل الأعلى في الوفاء بالعهود وعدم الغدْر حتى مع أعداء الله من المشركين.

٢٧- فضل المشورة، وأن الفعل إذا انضم إلى القول كان أبلغ، وجواز مشاورة المرأة الفاضلة.

٢٨- فضل أم سلمة رضي الله عنها ووفور عقلها.

٢٩- في قصة أبي بصير: جواز قتل المشرك المعتدي غيلة، وأبو بصير لم يكن من جملة من دخل في المعاهدة.

٣٠- أن من فعل مثل فعل أبي بصير لم يكن عليه قود ولا دية.

٣١- أن النبي ﷺ كان لا يرد على المشركين من جاء منهم إلا بطلب منهم.

٣٢- من فوائد الحديث في المناسك أن ذا الحليفة ميقات أهل المدينة للحاج والمعتمر.

٣٣- ومنها أن سوق الهدي وتقليده سنة للحاج والمعتمر فرضًا كان أو نفلاً، وأن الإشعار سنة لا مثلة.

٣٤- ومنها أن الحلق أفضل من التقصير، وأنه نسك في حق المعتمر محصورًا كان أو غير محصور.

٣٥- ومنها أن المحصر ينحر هديه حيث أحصر ولو لم يصل إلى الحرم.

٣٦- ومنها أنه يجوز قتال من صده عن البيت، وأن الأولى في حقه ترك المقاتلة إذا وجد إلى المسالمة سبيلاً.

٣٧- ومن فوائد الحديث غير ما تقدم: احتمال الضيم في أمر الدين ما لم يكن قادحًا في أصله إذا تعين ذلك طريقًا للسلامة في الحال والصلاح في المآل.

٣٨- أن التابع لا يليق به الاعتراض على المتبوع بمجرد ما يظهر في الحال، بل عليه التسليم.

٣٩- جواز الاعتماد على خبر الكافر إذا قامت القرينة على صدقه.

هذا، ونسأل الله تعالى أن ينفعنا بما علمنا، وأن يعلمنا ما جهلنا، وأن يبصر المسلمين بأمور دينهم، وأن يوفق الجميع لما يحب ويرضى، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.



الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين، صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه ومن سار على طريقته وانتهج نهجه إلى يوم الدين... أما بعد:

فإن تنظيم شئون الحياة والعلاقات الاجتماعية بين الناس لا يتم على نحو صحيح في ميزان العدل الإلهي والمنطق البشري، من دون عقيدة سامية، وأخلاق رصينة، ومبادئ وأنظمة شاملة، تضع حدًا للفرد في ذاته وفي سره وعلانيته، والأسرة الخلية الأولى للمجتمع، وللمجتمع الكبير المنتظم تحت سلطان الدولة ليعيش في أمن واستقرار، ولا يمكن البقاء لأي دعوة تعتمد على الاعتقاد الداخلي - أي الجانب الروحي - فقط، بل لابد دائمًا من الالتزام العملي ببعض الواجبات، ليكون ذلك دليلاً صادقًا على صحة الاعتقاد، لأن الإيمان الصحيح هو ما وقر في القلب وصدقه العمل.

[الفقه الإسلامي وأدلته: د. وهبة الزحيلي ١ / ٢٠].

ولما كان الفقه ينقسم إلى عبادات وهي التي تنظم علاقة الإنسان بربه، ومعاملات هي التي تنظم علاقات الناس بعضهم ببعض كما سبق بيانه في العدد السابق، وجدنا أن الفقهاء في كتبهم بدءًا من الإمام مالك في «موطئه»، وهو أول من ألف في الفقه، ومن جاء بعده يبدؤن بالكلام عن العبادات قبل المعاملات، وهذا يتفق مع العقل ؛ لأن هذه العبادات هي أركان الدين الإسلامي وأسسه التي قام عليها كما في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الإسلام بني على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت».

[متفق عليه].

كما أن هذه الأركان تنظم علاقة الإنسان بربه، فإذا كانت هذه العلاقة صحيحة آتت ثمارها، فلن تنتظم علاقة الإنسان بغيره إلا إذا انتظمت علاقته بربه، فناسب ذلك أن يكون الكلام عن العبادات سابقًا للكلام عن المعاملات، ولما كانت الصلاة هي أول تلك الأركان بعد كلمة الشهادة، ناسب أن يبدأ بالكلام عنها، ولكي تكون هذه الصلاة صحيحة ومقبولة لابد لها من شروط تسبقها ناسب أن نبدأ الكلام عن هذه الشروط، وأول ما نبدأ بالكلام عنه من هذه الشروط هو الطهارة:

أولاً: معنى الطهارة وأهميتها:

١- الطهارة في اللغة: النظافة، يقال: طهر الشيء بفتح الهاء وضمها يطهرُ بالضم طهارة فيهما، والاسم: الطُهر بالضم، وطهره تطهيرًا، وتطهر بالماء، وهم قوم يتطهرون ؛ أي: يتنزهون من الأدناس. [مختار الصحاح مادة: طهر].

٢- الطهارة في الشرع: رفع الحدث أو إزالة النجس، أو ما في معناهما على صورتهما. [المجموع للنووي ١ / ١٢٤].

والحدث وصف شرعي يحل في الأعضاء يزيل الطهارة، والخبث: عين مستقذرة شرعًا، والمراد بقوله: أو ما في معناهما وعلى صورتهما ؛ شمول التيمم والأغسال المسنونة وتجديد الوضوء ونحوها من نوافل الطهارة.

٣- تقسيم الطهارة:

يتبين لنا من التعريف السابق أن الطهارة تنقسم إلى قسمين: طهارة حكمية، وهي طهارة من الحدث، وتختص بالبدن، وطهارة حقيقية، وهي الطهارة من النجس، وتكون في البدن والثوب والمكان، وطهارة الحدث ثلاث: كبرى، وهي الغسل، وصغرى وهي الوضوء، وبدل منهما عند تعذرهما وهو التيمم، وطهارة الخبث ثلاث: غسل، ومسح، ونضح. [الفقه الإسلامي وأدلته].

٤- أهمية الطهارة:

للطهارة أهمية كبيرة في الإسلام سواء أكانت طهارة حكمية أم طهارة حقيقية لأنها شرط دائم لصحة الصلاة، وبما أن الصلاة قيام بين يدي الله تعالى، فأداؤها بالطهارة تعظيم لله، وعناية الإسلام بجعل المسلم دائمًا طاهرًا من الناحيتين المادية والمعنوية أكمل وأوفى دليل على الحرص الشديد على النقاء والصفاء، وعلى أن الإسلام مثل أعلى للزينة والنظافة، والحفاظ على الصحة الخاصة والعامة، فكما أن الصلاة تطهير للباطن من الذنوب والآثام ؛ لقوله ﷺ: «أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء ؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: فكذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا». [متفق عليه من حديث أبي هريرة].

فإن الطهارة كما تطهر الظاهر تطهر الباطن؛ لقوله ﷺ: «ما منكم من رجل يقرب وَضُوءَهُ، فيمضمض ويستنشق فينتثر إلا خرت خطايا وجهه من فيه وخياشيمه، ثم إذا غسل وجهه كما أمره الله إلا خرت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء، ثم يغسل يديه إلى المرفقين إلا خرت خطايا يديه من أنامله مع الماء، ثم يمسح رأسه إلا خرت خطايا شعره مع الماء، ثم يغسل رجليه إلى الكعبين إلا خرت خطايا رجليه من أنامله مع الماء، فإن هو قام فصلى فحمد الله وأثنى عليه، ومجده بالذي هو له أهل، وفرغ قلبه لله تعالى، إلا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمه».

[أخرجه مسلم (٨٣٢) من حديث عمرو بن عبسة].

وكذلك الطهارة من أسباب محبة الله للعبد، قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ» [البقرة: ٢٢٢].

ثانيًا حكم الطهارة:

اتفق الفقهاء على وجوب الطهارة على من تجب عليه الصلاة، فيجب تطهير ما أصابته النجاسة من بدن أو ثوب أو مكان ؛ لقوله تعالى: «وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ» [المدثر: ٤]، وقوله تعالى: «أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ» [البقرة: ١٢٥]، وإذا وجب تطهير الثوب والمكان وجب تطهير البدن بالأولى ؛ لأنه ألزم للمصلي، وأنها شرط لصحة الصلاة لا تصح بدونها، والشرط كما عرفه علماء الأصول: ما

يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته، فالصلاة مثلاً إذا أداها العبد مستوفية للأركان والواجبات لكنه لم يتوضأ لها كانت فاسدة ويلزم إعادتها، وهذا معنى قولهم في تعريف الشرط يلزم من عدمه العدم، فعدم الوضوء ترتب عليه عدم صحة الصلاة، أما إن توضأ الإنسان ولم يصلِّ فلا يلزمه الصلاة، وهذا معنى قولهم: ولا يلزم من وجوده - أي الشرط وهو الوضوء هنا - وجود - أي وجود المشروط وهو الصلاة هنا - ولا عدم - أي المشروط. ودليل شرطية الطهارة للصلاة قوله ﷺ: «لا تقبل صلاة بغير طهور». [أخرجه مسلم ٢٢٤ من حديث عبد الله بن عمر].

ثالثًا: شروط وجوب الطهارة:

لكي تجب الطهارة على الإنسان لابد من توافر شروط معينة هي:

١- الإسلام: وقيل بلوغ الدعوة، فعلى الأول: لا تجب على الكافر، وعلى الثاني: تجب عليه، وذلك مبني على الخلاف في مبدأ أصولي معروف، وهو مخاطبة الكفار بفروع الشريعة، فعند الجمهور: الكفار مخاطبون بفروع الشريعة، وعند الحنفية: لا يخاطب الكفار بفروع الشريعة، والفريقان متفقان على ألا ثمرة لهذا الخلاف في أحكام الدنيا، فلا يصح أداء العبادة من الكفار وإذا أسلموا فلا يطالبون بالقضاء.

٢- العقل: فلا تجب الطهارة على المجنون والمغمى عليه ؛ لأن العقل مناط التكليف، أما السكران فلا تسقط عنه الطهارة.

٣- عدم النوم: لأن الإنسان في حالة النوم يذهب عنه الإدراك وهو مناط التكليف.

٤- البلوغ: فلا تجب الطهارة على الصبي لأنه خارج عن حد التكليف، ولكنه يؤمر بها لسبع ويضرب عليها لعشر من باب التعليم والتأديب لا من باب كونه مكلفًا بها شرعًا.

- ودليل الشروط الثلاثة السابقة قوله ﷺ: «رُفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحلتم». [صحيح الجامع الصغير للألباني رقم: ٣٥١٢].

٥- ارتفاع دم الحيض والنفاس، أي انقطاع الدم ؛ لأن المرأة إذا كانت حائضًا أو نفساء لا تطالب بأداء الصلاة ومن باب أولى الطهارة التي هي شرط لها.

٦- ضيق الوقت: فإذا ضاق وقت أداء الصلاة وجب على المكلف التطهر لها من رفع حدث أو إزالة خبث.

٧- عدم النسيان: فلا تجب الطهارة على الناسي ؛ لأن النسيان عذر اعتبره الشرع، فإذا زال عنه ذلك العارض رجع إلى أصل التكليف.

٨- عدم الإكراه، فإن كان الإنسان في مكان لا يستطيع فيه الوصول إلى الماء أو التراب جبرًا عنه فلا تجب عليه الطهارة لأنه عاجز عنها والقدرة مناط التكليف.

٩- وجود الماء أو الصعيد (التراب الطاهر)، فمن عدمهما فلا يطالب بالطهور ويسمى عند الفقهاء بفاقد الطهورين.

١٠- القدرة على الفعل بقدر الإمكان: فقد يوجد الماء أو التراب ولكن الإنسان لا تكون عنده قدرة على استعمالهما مثل المرضى في غرف العناية المركزة وغيرها فيكون الإنسان في هذه الحالة كفاقد الطهورين، والقدرة مناط التكليف ؛ لقوله تعالى: «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا» [البقرة: ٢٨٦]، ويمكننا أن نرجع أكثر هذه الشروط إلى هذا الشرط وهو القدرة.

رابعًا: أنواع الطهارات

ثبت بالدليل القطعي المجمع عليه أن الطهارة واجبة شرعًا، وهي إما رفع حدث، أو إزالة خبث، أو ما يقوم مقامهما، وهذه الطهارة لها وسائل اتفق الفقهاء على بعضها، وهي: الماء الطهور (أو المطلق)، وهو يرفع الحدث ويزيل الخبث، وكذلك اتفقوا على جواز التطهير بالمسح بالورق والحجارة في حالة الاستنجاء أي إزالة النجاسة عن المخرجين - القبل والدبر - من بول وغائط.

واتفقوا على مشروعية التطهير بالتراب وعلى طهارة الخمر بالتحلل. [الفقه الإسلامي وأدلته ١ / ٢٤٢].

وهناك مطهرات أخرى اختلفوا في جواز التطهر بها نذكر أهمها عند الكلام عن أنواع النجاسات وكيفية تطهيرها.

أقسام المياه

إذا كان الماء هو الأصل في تطهير البدن والثوب والمكان، فإنه ينقسم من حيث جواز التطهير به إلى أقسام هي:

الأول: الماء الطهور أو المطلق

هو الطاهر في نفسه المطهر لغيره، وهو كل ما نزل من السماء، أو نبع من الأرض، ما دام باقيًا على أصل الخلقة، فلم يتغير أحد أوصافه الثلاثة وهي (اللون، والطعم، والرائحة)، أو تغير بشيء لم يسلب طهوريته كتراب طاهر، أو ملح أو نبات مائي، إلى غير ذلك، وهذا الماء المطلق طاهر مطهر إجماعًا، يزال به النجس، ويرفع به الحدث، لقوله تعالى: «وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا» [الفرقان: ٤٨]، وقوله تعالى: «وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ» [الأنفال: ١١]، ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سأل رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا، أنتوضأ بماء البحر، فقال رسول الله ﷺ: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته». [رواه أبو داود (٨٣)، والترمذي (٦٩)، وابن ماجه (٣٨٦)، والنسائي، وأحمد (٢ / ٢٣٧)].

الثاني: الماء الطاهر غير المطهر:

وهو ثلاثة أنواع:

أحدها: الماء الذي خالطه طاهر غير أحد أوصافه الثلاثة (الطعم واللون والرائحة)، تغييرًا يمنع من إطلاق اسم الماء عليه كالزعفران والصابون وغير ذلك من الطاهرت وحكمه أنه طاهر في نفسه غير مطهر لغيره، فلا يرفع حدثًا ولا يزال به خبث.

ثانيها: ماء النبات من زهر أو ثمر، كماء الورد، أو الزهر وماء البطيخ ونحوه من الفاكهة فهو طاهر في نفسه غير مطهر لغيره.

ثالثها: الماء المستعمل:

وهو الذي استعمل في رفع حدث وهو الماء الذي يتقاطر من الأعضاء أو انفصل عنها، أو المستعمل في إزالة خبث بشروط محددة بحيث لا يتغير أوصاف الماء المنفصل، وحكمه عند الجمهور أنه طاهر غير مطهر، وعند المالكية وبعض أهل العلم أنه طاهر في نفسه ومطهر لغيره، وهو الأرجح.

الثالث: الماء النجس

وهو الذي وقعت فيه نجاسة غير معفو عنها، وكان الماء راكدًا - غير جار - قليلاً، وفرق أكثر أهل العلم بين الماء القليل والماء الكثير، فقالوا: إذا كان الماء قليلاً ووقعت فيه نجاسة صار نجسًا فلا يرفع حدثًا ولا يزيل به خبثًا، وإن لم تتغير أوصافه، أما إذا كان الماء كثيرًا ووقعت فيه نجاسة فلا تسلب عنه طهوريته إلا إذا غيرت أحد أوصافه، والحد الفاصل بين القلة والكثرة هو القلتان، من قلال هجر وهما خمس مائة رطل بالعراقي وتعادل الآن حوالي (١٩٥) ك. غ أو (١٠) تنكات (صفائح)، وعلى ذلك فإذا بلغ الماء قلتين فوقعت فيه نجاسة ولم تغير طعمه أو لونه أو ريحه، فهو طاهر مطهر ؛ لقوله ﷺ: «إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث». [أخرجه أبو داود ٦٣، والترمذي ٦٧، وأحمد ٢ / ٣٨].

ولحديث أبي سعيد السابق: «الماء طهور لا ينجسه شيء».

هذه أقسام المياه كما ذكرها أهل العلم، بقي أن ننوه إلى قاعدة فقهية هامة تستعمل كثيرًا في أبواب الطهارة والصلاة وهي: «اليقين لا يزول بالشك»، فإذا شك إنسان في نجاسة ماء أو غيره أو طهارته بنى على اليقين، فإذا كان أصل الماء طاهرًا وشك في نجاسته بنى على الأصل وهو الماء طاهر ولا يلتفت للشك، وإذا كان أصله نجسًا وشك في طهارته فإنه يبني على الأصل وهو النجاسة ولا يلتفت للشك.

هذا ما تيسير لنا جمعه، وللحديث بقية إن شاء الله تعالى، وهو من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

وللحديث بقية إن شاء الله.



مشروع تيسير حفظ السنة من صحيح الأحاديث القصار

إعداد/ علي حشيش

١٧٠٣- عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ رَيْحَانٌ فَلاَ يَرُدُّهُ، فَإِنَّهُ خَفِيفُ المَحْمَلِ طَيِّبُ الرِّيحِ». م(٢٢٥٣)، حم (٨٢٧١)، د(٤١٧٢)، ن(٥٢٧٤)، (٥٩٤١١ / ٥- كبرى)، حب (٥١٠٩)، هق (٣ / ٢٤٥).

١٧٠٤- عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه إذا استجْمَرَ(١) اسْتَجْمَرَ بالألُوَّةِ(٢) غَيْرَ مُطَرَّاةٍ وبِكَافُورٍ يَطْرَحُهُ مَعَ الألُوَّةِ، ثم قال: هَكَذَا كَانَ يَسْتَجْمِرُ رسولُ الله ﷺ. م(٢٢٥٤).

١٧٠٥- عن عمرو بن الشريد عن أبيه رضي الله عنهما قال: رَدِفْتُ رسولَ الله ﷺ يومًا، فقال: «هَلْ مَعَكَ مِنْ شِعْرِ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ شيءٌ؟» قُلْتُ: نَعَمْ. قال: «هِيهِ». فَأَنْشَدْتُهُ بَيْتًا، فَقَالَ: «هِيهِ». ثُمَّ أنشدته بيتًا فقال: «هيه» حتى أنشدتُه مائةَ بَيْتٍ. م(٢٢٥٥)، حم (١٩٤٧٤)، (١٩٤٨١)، (١٩٤٨٤)، (١٩٤٩٣)، ت(٢٤٨)، ن(١٠٣٦ / ٩ كبرى)، جه (٣٧٥٨)، حب (٥٧٨٢)، حق (١٠ / ٢٢٧).

١٧٠٦- عن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا يَرِيه(٣) خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا». انفرد به مسلم من رواية سعد، واتفق فيه من رواية أبي هريرة. م(٢٢٥٨)، حم (١٥٠٦)، (١٥٠٧)، (١٥٣٥)، (١٥٦٩)، ت(٢٨٥٢)، جه (٣٧٦٠).

١٧٠٧- عن بريدةَ رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدَشِيرِ فَكَأَنَّمَا صَبَغَ يَدَهُ فِي لَحْمِ خِنْزِيرٍ وَدَمِهِ». م(٢٢٦٠)، حم (٢٣٠٤٠)، (٢٣٠٨٧)، (٢٣١١٨)، د(٤٩٣٩)، جه (٣٧٦٣)، حب (٥٨٧٣).

١٧٠٨- عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمُ الرُّؤْيَا يَكْرَهُهَا فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلاثًا، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلاثًا، وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ». م(٢٢٦٢)، حم (١٤٧٨٦)، د(٥٠٢٢)، ن(١٠٧٤٧ / ٦- كبرى)، جه (٣٩٠٨)، حب (٦٠٦٠).

١٧٠٩- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ». م(٢٢٦٥)، حم (٤٦٧٨)، (٥١٠٤)، (٦٠٠٩)، (٦٠٣٥)، (٦٢١٥)، ن(٧٦٢٦ / ٤- كبرى)، جه (٣٨٩٧).

١٧١٠- عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ رَآنِي فِي النَّوْمِ فَقَدْ رَآنِي، إِنَّهُ لا يَنْبَغِي لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَتَمَثَّلَ فِي صُورَتِي». وقال: «إِذَا حَلَمَ أَحَدُكُمْ فَلاَ يُخْبِرْ أحدًا بِتَلَعُّبِ الشَّيْطَانِ بِهِ فِي المَنَامِ». م(٢٢٦٨)، حم (١٤٣٩٠)، (١٤٧٨٥)، ن(٧٦٢٩، ٤، ١٠٧٤٨ / ٦- كبرى)، جه (٣٩٠٢)، (٣٩١٢)، (٣٩١٣)، حب (٦٠٥٦).

١٧١١- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فِيمَا يَرَى النَّائِمُ، كَأَنَّا فِي دَارِ عُقْبَةَ بنِ رَافِعٍ، فَأُتِينَا بِرُطَبٍ مِنْ رُطَبِ ابْنِ طَابٍ، فَأَوَّلْتُ الرِّفْعَةَ لَنَا فِي الدُّنْيا، وَالعَاقِبَةَ فِي الآخِرَةِ، وَأَنَّ دِينَنَا قَدْ طَابَ». م(٢٢٧٠)، حم (١٤٠٥٤)، د(٥٠٢٥).

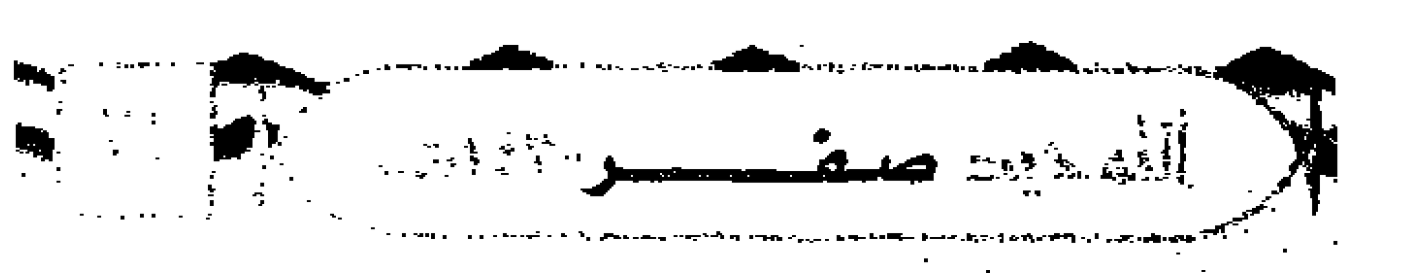
١٧١٢- عن وَاثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ». م(٢٢٧٦)، حم (١٦٩٨٤)، ت(٣٦٠٥)، (٣٦٠٦)، حب (٦٢٤٢)، (٦٣٣٣)، (٦٤٧٥)، هق (١ / ١٦٦).

١٧١٣- عن جابر بن سَمُرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي لأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لأَعْرِفُهُ الآنَ». م(٢٢٧٧)، حم (٢٠٨٦٧)، (٢٠٩٤٦)، (٢١٠٦١)، ت(٣٦٢٤)، حب (٦٤٨٢).

١٧١٤- عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ القَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ». م(٢٢٧٨)، حم (١٠٩٧)، د(٤٦٧٣).

١٧١٥- عن جابر رضي الله عنه أنَّ أُمَّ مالكٍ كانت تُهْدي للنبي ﷺ في عُكَّةٍ لها سَمْنًا. فَيَأْتِيهَا بَنُوهَا فَيَسْأَلُونَ الأُدْمَ وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ، فَتَعْمِدُ إِلَى الَّذِي كَانَتْ تُهْدِي فِيهِ للنبيِّ ﷺ فَتَجِدُ فِيهِ سَمْنًا، فَمَا زَالَ يُقِيمُ لها أُدْمَ بَيْتِها حَتَّى عَصَرَتْهُ فَأَتَتِ النبيَّ ﷺ فقال: «عَصَرْتِيهَا؟» قالت: نعم. قال: «لَوْ تَرَكْتِيهَا مَا زَالَ قَائِمًا». م(٢٢٨٠)، حم (١٤٧٤٦).

١٧١٦- عن جابر رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي ﷺ يَسْتَطْعِمُهُ، فَأَطْعَمَهُ شَطْرَ وَسْقِ شَعِيرٍ، فَمَا زَالَ الرَّجُلُ



يَأكُلُ مِنْهُ وامْرَأتُهُ وَضَيْفُهُمَا حَتَّى كَالَهُ فَأتَى النَّبِيَّ ﷺ، فقال: «لَوْ لَمْ تَكِلْهُ لأَكَلْتُمْ مِنْهُ ولَقَامَ لكُمْ». م(٢٢٨١)، حم (١٤٦٢٧)، (١٤٧٤٧).

١٧١٧- عن جابر رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ والفَرَاشُ يَقَعْن فيها، وهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا، فَأنَا آخِذٌ بِحُجَزِكم عَنِ النَّار، وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدِي». م(٢٢٨٥)، حم (١٤٨٩)، (١٥٢١٥).

١٧١٨- عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ إِذَا أَرَادَ رَحْمَةَ أُمَّةٍ مِنْ عِبَادِهِ قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا، فجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا وَسَلَفًا بَيْنَ يَدَيْهَا، وَإِذَا أَرَادَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ عَذَّبَهَا وَنَبِيُّهَا حَيٌّ، فَأَهْلَكَهَا وَهُوَ يَنْظُرُ، فَأَقَرَّ عَيْنَهُ بِهلَكَتِهَا حِينَ كَذَّبُوهُ وَعَصَوْا أَمْرَهُ». م(٢٢٨٨)، حب (٦٦٤٧).

١٧١٩- عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ أَنْتَظِرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، فَوَاللَّهِ لَيُقْتَطَعَنَّ دُونِي رِجَالٌ، فَلأَقُولَنَّ: أي رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ، مَا زَالُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ». م(٢٢٩٤)، حم (٢٤٩٥٥).

١٧٢٠- عن أم سلمة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي لَكُمْ فَرَطٌ عَلَى الحَوْضِ فإِيَّايَ لاَ يَأْتِيَنَّ أَحَدُكُمْ فَيُذَبُّ عَنِّي كَمَا يُذَبُّ البَعْيرُ الضَّالُّ فأقولُ: فِيمَ هَذَا ؟ فيُقَالُ: إنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا». م(٢٢٩٥)، حم (٢٦٦٠٨).

١٧٢١- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لأَذُودَنَّ عَنْ حَوْضِي رِجَالاً كَمَا تُذَادُ الغَرِيبةُ مِنَ الإِبِلِ». متفق عليه (٢٣٠٢)، حم (١٠٠٣٧).

١٧٢٢- عن أنس رضي الله عنه قال: ما سُئِلَ رسولُ الله ﷺ على الإسلام شَيئًا إلاَّ أَعْطَاهُ، قَالَ: فجاءَهُ رجلٌ فَأعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: يا قَوْمِ، أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لاَ يَخْشَى الفَاقَةَ. م(٢٣١٢)، حم (١٢٠٥١)، (١٢٧٩٠)، (١٣٧٣٢)، (١٤٠٣١)، حب (٤٥٠٢)، (٦٣٧٣)، (٦٣٧٤)، هق (٧ / ١٩).

١٧٢٣- عن صفوان رضي الله عنه قال: واللَّه، لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا أَعْطَانِي وَإِنَّهُ لأَبْغَضُ النَّاسِ إليَّ، فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حتَّى إنَّه لأحَبُّ النَّاسِ إليَّ. م(٢٣١٣)، ت (٦٦٦).

١٧٢٤- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إذا صَلَّى الغَدَاةَ جَاءَ خَدَمُ المَدِينَةِ بِآنِيَتِهِمْ فِيهَا المَاءُ، فَمَا يُؤْتَى بِإِنَاءٍ إلاَّ غَمَسَ يَدَهُ فِيهَا، فَرُبَّمَا جَاءُوهُ في الغَدَاةِ البَارِدَةِ فَيَغْمِسُ يَدَهُ فيها. م(٢٣٢٤).

١٧٢٥- عن أنس رضي الله عنه قال: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَالْحَلاَّقُ يَحْلِقُهُ وَأَطَافَ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَمَا يُرِيدُونَ أَنْ تَقَعَ شَعْرَةٌ إِلاَّ فِي يَدِ رَجُلٍ. م(٢٣٢٥).

١٧٢٦- عن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قال: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ صَلاَةَ الأُولَى ثُمَّ خَرَجَ إلى أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ فَاسْتَقْبَلَهُ وِلْدَانٌ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ وَاحِدًا واحدًا، قال: وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدِّي، قالَ: فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحًا، كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ. م(٢٣٢٩).

١٧٢٧- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دَخَلَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ(٤) عِنْدَنَا فَعَرِقَ، وَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ فَجَعَلَتْ تَسْلُتُ العَرَقَ فِيهَا، فَاسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ، فقال: «يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا هَذَا الذي تَصْنَعِينَ؟» قَالَتْ: هَذَا عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ. م(٢٣٣١)، حم (١٣٣٦٥)، هق (٢ / ٤٢١).

١٧٢٨- عن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ضَلِيعَ الفَمِ(٥) أَشْكَلَ العَيْنِ(٦) مَنْهُوسَ العَقِبَيْنِ(٧). م(٢٣٣٩)، حم (٢٠٨٣٨)، (٢٠٨٥٥)، (٢١٠٤٢)، ت(٣٦٤٦)، (٣٦٤٧)، حب (٦٢٨٨)، (٦٢٨٩).

١٧٢٩- عن الجُرَيْرِيِّ عن أبي الطُّفَيْلِ قال: قلتُ لهُ: أَرَأَيْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَانَ أَبْيَضَ مَلِيحَ الْوَجْهِ. م(٢٣٤٠)، حم (٢٣٨٥٨)، د(٤٨٦٤).

١٧٣٠- عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَلاَثٍ وَسِتِّينَ وَأَبُو بَكْرٍ وَهُوَ ابْنُ ثَلاَثٍ وَسِتِّينَ، وعُمَرُ وَهُوَ ابْنُ ثَلاَثٍ وَسِتِّينَ. م(٢٣٤٨)، حب (٦٣٨٩)، هق (٧ / ٧ / ٢٣٧ / ٢٣٨).

الهوامش :

١- استجمر: استعمل الطيب بخورًا بالْجَمْرِ.

٢- الألوة: العود يُتَبَخَّرُ به.

٣- يريه: قيح يصيب جوفه ويفسده.

٤- انَامَ القيلولة.

٥- عظيم الفم.

٦- طويل شق العين.

٧- قليل لحم العقب.



إعداد/ مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فما زلنا نتحدث بعون الله ومدده حول لطائف سورة آل عمران، ونتحدث بإذن الله في هذا العدد عن الآية الخامسة والأربعين، قال تعالى: «إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ» [آل عمران: ٤٥].

قوله: «إذ قالت الملائكة يا مريم» يعني: اذكر إذ قالت الملائكة: يا مريم، والمراد جنس الملائكة، والمشهور أنه جبريل.

وقوله: «إن الله يبشرك» ذكرنا في مقال سابق أن معنى البشارة في الأصل الإخبار بما يسر، وانها قد تطلق على الإخبار بما يسوء، بجامع أن كل ما يسر وما يسوء يُغير البشرى ويؤثر فيها.

وقوله: (بكلمة) تحتمل وجهين:

الوجه الأول: أن الكلمة هي المبشر به كما تقول: بشرته بولد، فتكون الكلمة هي البشرى.

الوجه الثاني: أن المراد بالكلمة هنا الصيغة التي حصلت بها البشارة، اي يبشرك بشارة عن طريق النطق بها، كما تقول: بشرته بالقول لا بالكتابة أي: أن الوسيلة التي حصلت بها البشارة هي الكلمة، يعني أن الله سبحانه وتعالى قال كلمة فيها البشرى بالمسيح عيسى ابن مريم، فالوجهان محتملان. أما على الاحتمال الثاني فلا إشكال أن تقع البشارة بالنطق، لكن على الوجه الأول أن الكلمة هي المبشر به، فكيف يكون المبشر به كلمة مع أنه إنسان ؟ أجاب العلماء عن ذلك بانه أطلق عليه الكلمة، لانه كان بالكلمة لا بالوسائل الحسية المعلومة، لأن الولد في العادة ياتي بواسطة النكاح، لكنه لم يات عليه السلام بالنكاح بل أتى بالكلمة، «إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» [آل عمران: ٥٩]، فلهذا صح أن يطلق عليه الكلمة، وفي هذه الآية إشكال آخر إذا قلنا إن الكلمة تعني المبشر به، فما معنى (منه)، فإن (من) تفيد التبعيض، كما قال ابن مالك رحمه الله في الخلاصة:

بَعِّض وبَيِّن وابتدأ في الأمكنة

الشاهد قوله: (بَعْض) فإن مِنْ تفيد التبعيض، فهل معنى ذلك أن عيسى بعض من الكلمة كما قالت النصارى، الجواب: لا، ليس بعضًا من الله، لأن الله واحد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، ولا يقرأ أحد هذه الآية ويدعى البعضية إلا من في قلبه زيغ، «فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ» [آل عمران: ٧]، والنصراني كما اتبع المتشابه في هذه الآية، اتبع المتشابه في قوله: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» [الحجر: ٩]، قال: هذا كلام الله يقول: (إنَّا)، (وإنَّا) تفيد الجمع فاتبع المتشابه، انتصارًا لرأيه الفاسد، ولا يخفى على كل ذي لب أن المراد بقوله: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» [الحجر: ٩]، وما أشبهها التعظيم لا التعدد، كذلك هنا (بكلمة منه: لا يقتضي أن يكون عيسى عليه السلام بعضًا من الله عز وجل، لأنك إن ادعيت أنه بعض من الله، فَلْتدَّع أنه كلمة الله، ومعلوم أنه لا أحد يدعي أن عيسى مجرد كلمة، بل هو بشر له جسم وروح يأكل ويشرب، وهل الكلمة كذلك؟! لا. إذن فيتعين أن تكون (مِنْ) إما ابتدائية وإما بيانية، يعني بكلمة صادرة من الله عز وجل بأن قال: كن فكان، نظير هذه الآية قوله تعالى: «وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ» [الجاثية: ١٣]، هل يدعي أحد أن ما في السماوات وما في الأرض بعض من الله، لا، حتى النصراني لا يدعي ذلك، لكن هنا (مِنْ) إما للابتداء يعني ابتداء التسخير من الله أو للبيان، بيان مَن المسخِّر، مَنْ جاء بهذا التسخير.

قال تعالى: «بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ».

«اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ» اسم: مبتدأ، والمسيح: خبر، وعيسى: خبر ثاني، وابن مريم: خبر ثالث، وإنما قلنا ذلك لأنك لو أفردت كل واحد عن الآخر لاستقام الكلام، لو قلت: اسمه ابن مريم صحَّ، اسمه عيسى عيسى صحَّ، اسمه المسيح صحَّ، وعلى هذا كل واحد منها خبر، وقيل: بل الثلاثة خبر واحد، والآية التي معنا «اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ»، لا يستقيم هذا المعنى فيها، وبناء على ذلك نقول: إن كل واحد منها خبر، مثل قوله تعالى: «وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ» [البروج].

فهذه خمسة أخبار، هذه الأخبار جمعت أنواع العلم، التي أشار إليها ابن مالك بقوله:

واسمًا أتى وكنية ولقبا
وأخِّرن ذا إن سواه صحبا

أي: الاسم عيسى، واللقب: المسيح، والكنية: ابن مريم.

هذه الكلمات الثلاثة قد جمعت أنواع العلم الثلاثة: الاسم، واللقب، والكنية، لكن يبقى عندنا إشكال في قول ابن مالك: (وأخرن ذا) يعني اللقب إن سواه صحبا، فإنه في الآية الكريم قدَّم اللقب فيبقى إشكال إذن: كيف نجمع بين هذا الكلام من هذا العالم في النحو وبين الآية؟ من المعروف أن علماء النحو رحمهم الله لا تضيق عليهم أبدًا، يقولون: حجج النحاة كبيوت اليرابيع (نوع من الفأر) قالوا: الجواب عن الآية: أن اللقب إذا اشتهر به الإنسان حتى صار كالعلم أو كالاسم جاز أن يقدم ولهذا نجد في كلام العلماء: الإمام أحمد بن حنبل، المسيح عيسى ابن مريم على وزن المسيح ابن مريم: الإمام محمد بن إدريس الشافعي، فيقدم الإمام مع انه لقب، للاشتهار إذن لا إشكال فيه، قال: إنما «اسمه المسيح» واختار الله تعالى له اسم المسيح لأنه كان لا يمسح ذاعاهة إلا برأ، فهو يبرئ الأكمه والأبرص، ويحيى الموتى ويخرجهم من قبورهم، وهذه الأمور لا تتم لكل أحد، بل لا تتم لأحد أبدًا إلا بإذن الله عز وجل.

«عيسى ابن مريم» ولم ينسبه إلى أب له، لكن لماذا نسبه إلى أمه؟ الجواب: إشارة إلى أن لا يقول قائل إنه ينسب إلى كافله زكريا فبدأت الملائكة وبينت أن هذا الرجل ينسب إلى أمه، عيسى ابن مريم.

«وجيها في الدنيا والآخرة» قوله: «وجيها» هذه منصوبة على الحال، حال من المسيح أي: حال كونه وجيهًا في الدنيا، والوجيه هو ذو الجاه، وهو الشرف والمكانة والسيادة، وقد كان كذلك عليه الصلاة والسلام أما وجاهته في الدنيا فلأنه كان أحد الرسل الكرام، بل هو من أولي العزم وأولو العزم هم أعظم الناس جاهًا في الدنيا والآخرة، كما قال الله تبارك وتعالى عن موسى: «وكان عند الله وجيها» [آل عمران: ٦٩]، وأما وجاهته في الآخرة فلأنه من أولي العزم من الرسل

الذين هم بأعلى درجات الجنة، ولهم بالآخرة مقامات لا تكون لغيرهم.

فإن قيل: من هم أولو العزم من الرسل ؟ فالجواب: أنهم أولو الحزم في الأمور والصبر عليها.

قال تعالى: «فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ» [الأحقاف: ٣٥]. والمشهور في (من) في هذه الآية أنها للتبعيض، وأن أولو العزم هم الخمسة الذين ذكروا في آيتين من القرآن الكريم، وبعضهم جعل (مِنْ) بيانية، وعلى هذا يكون جميع الرسل من أولي العزم، لكن المشهور الأول.

وهم مذكورون في آيتين من القرآن:

الأولى: في سورة الشورى في قوله تعالى: «شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ» [الشورى: ١٣].

والثانية: في سورة الأحزاب في قوله تعالى: «وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا» [الأحزاب: ٧].

وقوله: «من المقربين» هذا وصف ثالث، أنه من المقربين إلى الله تعالى في الدنيا والآخرة، لأن المقرب يكون مقربًا في الدنيا ويكون كذلك مقربًا في الآخرة، فعيسى ابن مريم عليه السلام وجيهٌ في الدنيا والآخرة، وكان من المقربين إلى الله عز وجل، ثم قال تعالى: «وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ».

قوله: «وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ» الواو حرف عطف، والجملة معطوفة على ما سبق، «وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ» أي: في حال الصغر، وأصل المهد أو المهاد الفراش يوضع للإنسان فيطؤه ويستريح عليه، وهذا من آيات الله عز وجل، لأن العادة التي أجرى الله سبحانه وتعالى البشر عليها أن لا يتكلم أحد إلا في سن معين، اما في المهد فلم يتكلم إلا ثلاثة، منهم عيسى ابن مريم، وتكلم بكلام من أبلغ الكلام لما جاءت به قومها تحمله: «قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا» [مريم: ٢٧-٣٣]، كلام من أفصح الكلام وأعظمه، وهو في المهد، وهذا من آيات الله عز وجل الدالة على قدرته، ولهذا كانت آيات عيسى كلها تدور حول هذا الأمر حول خوارق العادات في الأمور الكونية، فهو نفسه آية خُلِقَ بلا أب، وكلم الناس في المهد، ويصنع من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرًا، ويبرئ الأكمه والأبرص، ولا أحد يبرئهما من الأطباء، ويحيي الموتى ويخرجهم من القبور، قال أهل العلم: لأنه بعث في زمن ترقّى فيه الطب ترقيًا عظيمًا، فجاء بآيات من جنس الآيات التي فيها إعجازهم، ومن جنس الأعمال التي يعملونها، فيكون ذلك أبلغ في الإعجاز، كما جاء موسى عليه السلام بالعصا واليد التي تبطل سحر السحرة، وكان السحر في وقته قد زاد وانتشر، وكما أتى محمد ﷺ بكلام هو أبلغ الكلام وأفصحه لانتشار الفصاحة في زمنه وعهده، حتى يعجز هؤلاء البلغاء ويتبين أنه ليس من كلام البشر.

قال: «وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا».

يعني: ويكلمهم وهو كهل من الحادية والثلاثين إلى الأربعين، وفي هذه الحال ليس غريبًا أن يكلم الناس، ولكنه أتى بها لفائدة، وهي أن كلامه في المهد ككلامه وهو كهل، يعني ليس ككلام الصبي الذي يتكلم في المهد كلام أطفال، بل كلامه فصيح من أبلغ الكلام كما يتكلم به وهو كهل.

قال: «وَمِنَ الصَّالِحِينَ».

يعني وهو من الصالحين، والصالح من صلحت سريرته وعلانيته، يعني ظاهره وباطنه، باطنه: بالإخلاص لله والطهارة من كل شرك ونفاق وشك وأحقاد وبغضاء للمؤمنين وما أشبه ذلك.

وظاهره: بالمتابعة للرسول عليه الصلاة والسلام وعدم الابتداع فهو عليه السلام من الصالحين الذين صلحت ظواهرهم وبواطنهم، وإن شئت فقل: سرائرهم وعلانيتهم.

وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه وسلم.

ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء وخاتم المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن أعداء الإسلام ما يزالون مستمرين في الطعن ومحاولة النيل من النبي ﷺ، وها نحن نلاحظ بين الحين والآخر طاعنًا من هنا ومن هناك، وأود أن أقول لهؤلاء: «وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» [التوبة: ٣٢]، وكلما بالغ هؤلاء المجرمون في الإساءة إليه كلما انتشر دينه، وظهر ولمع اسمه، وكثر أتباعه، «وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ» [المنافقون: ٨]، وقد بدأت الإساءة إلى النبي ﷺ مع بداية دعوته.

إعداد: د/ عبدالله شاكر

نائب الرئيس العام

يقول ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي - لبطون قريش - حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مُصدقي؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تبًا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا ؟ فنزلت: «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ»(١).

كما استخدم مشركو مكة كثيرًا من الأساليب لمحاربته وتشويه دعوته وصرف الناس عنه، ومن هذه الأساليب السخرية والاستهزاء، وإثارة الشبهات حول شخصه الكريم ﷺ كقولهم: إنه ساحر، وما جاء به من كتاب كذلك. قال تعالى: «أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ»، والمراد بالساحر عندهم هو رسول الله ﷺ، وقد كذبوا في ذلك، ودلَّ تعجبهم أولاً وكلامهم بما هو باطل عنه ثانيًا على عجزهم وانحرافهم، وقرئ: «لسحر»، وأرادوا بذلك القرآن الكريم، ووصْف الكفار للقرآن بكونه سحرًا يدل على عظم محل القرآن عندهم وكونه معجزًا، وأنه تعذر عليهم فيه المعارضة فقالوا هذا البهتان العظيم.

قال الرازي رحمه الله - معلقًا على هذه الآية: «واعلم أن هذا الكلام لما كان في غاية الفساد لم يذكر

جوابه، وإنما قلنا إنه في غاية الفساد، لأنه ﷺ كان منهم، ونشأ بينهم وما غاب عنهم، وما خالط أحداً سواهم، وما كانت مكة بلدة العلماء والأذكياء حتى يقال إنه تعلم السحر أو تعلم العلوم الكثيرة منهم فقدر على الإتيان بمثل هذا القرآن، وإذا كان الأمر كذلك كان حمل القرآن على السحر كلاماً في غاية الفساد، فلهذا السبب ترك جوابه»(٢).

كما قال المشركون في شخصه ﷺ بأنه كاهن ومجنون، وقد رد الله على فريتهم هذه ونفى كلامهم، فقال: «فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلاَ مَجْنُونٍ» [الطور: ٢٩]، أي: لست بحمد الله بكاهن، والكاهن: الذي يأتيه الرائي من الجان بالكلمة يتلقاها من خبر السماء، والمجنون، وهو الذي يتخبطه الشيطان من المس، وقد حاول المشركون صدَّ الناس وصرفهم عن النبي ﷺ، وعن القرآن الكريم حينما زعموا أن الشياطين هي التي تنزل بالقرآن عليه، وقد تولى الله تعالى الدفاع عن الوحي الذي أنزله وبيَّن ضلال ما ذهب إليه المشركون في ذلك فقال: «وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ (٢١٠) وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ (٢١١) إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ» [الشعراء: ٢١٠-٢١٢]، وكان هذا الرد القويم بعد تحقيق الحق ببيان أنه نزل به الروح الأمين، وأنه يمتنع أن تنزل به الشياطين، وذلك من ثلاثة أوجه، وهي: أنه ما ينبغي لهم، أي: ليس هو من بغيتهم، ولا من طلبتهم ؛ لأن من سجاياهم الفساد وإضلال العباد، وهذا فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونور وهدى وبرهان عظيم، فبينه وبين الشياطين منافاة عظيمة، ولهذا قال تعالى: «وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ»، وقوله: «وَمَا يَسْتَطِيعُونَ» أي: ولو انبغى لهم لما استطاعوا ذلك، ثم بين أنه لو انبغى لهم واستطاعوا حمله وتأديته لما وصلوا إلى ذلك، لأنهم بمعزل عن استماع القرآن حال نزوله، لأن السماء ملئت حرساً شديداً وشهباً في مدة إنزال القرآن على رسوله ﷺ، فلم يخلص أحد من الشياطين إلى استماع حرف واحد منه، لئلا يشتبه الأمر، وهذا من رحمة الله بعباده، وحفظه لشرعه، وتأييده لكتابه ولرسوله ﷺ، ولهذا قال تعالى: «إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ»(٣).

وقد كان المشركون ينزلون العذاب الشديد بالمستضعفين في مكة، كما فعلوا مع آل ياسر حينما كانوا يخرجونهم إلى الأبطح إذا حميت الرمضاء فيعذبونهم بِحَرِّها، وكان أمية بن خلف يخرج بلالاً إذا حميت الشمس ويقلبه على الرمال الملتهبة، ويأمر بالصخرة الجسيمة فتلقى على صدره ثم يقول: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى، فما يزيد بلال عن ترديد: أحد، أحد، ولما اشتد العذاب بالمستضعفين ذهب خباب بن الأرت إلى رسول الله ﷺ يستنجد به، ويقول: يا رسول الله، ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال ﷺ: «قد كان فيمن قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله تعالى هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت فلا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»(٤).

قال ابن التين: كان هؤلاء الذين فعل بهم ذلك أنبياء أو أتباعهم، قال: وكان في الصحابة من لو فعل به ذلك لصبر، إلى أن قال: وما زال خلق من الصحابة وأتباعهم فمن بعدهم يؤذون في الله، ولو أخذوا بالرخصة لساغ لهم، كما قاوم اليهود الإسلام من أول لحظة وبدأت أحقادهم تظهر وألسنتهم تنطق بالعداوة والباطل في اتهام صاحب الدعوة ﷺ، ووقفوا إلى جوار الوثنيين المشركين ضد الإسلام، وأنكروا صحة بعثة النبي ﷺ، وكانوا قبل مبعثه ينتظرون خروجه، كما قال تعالى: «وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ» [البقرة: ٨٩].

وقد ذكر سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل، وبشر ابن البراء بن معرور، وداود بن سلمة: يا معشر

يهود، اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ﷺ ونحن أهل الشرك، وتخبروننا بأنه مبعوث، وتصفونه بصفته، فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، ما هو بالذي كنا نذكركم، فأنزل الله هذه الآية(٦).

وما يزال الحقد الصهيوني ضد الإسلام والمسلمين قائمًا وبارزًا، وما حربهم اليوم ضد إخواننا في فلسطين إلا نموذجًا لذلك، وتبع النصارى عباد الصليب اليهود في عداوتهم وبغضهم وكراهيتهم للإسلام ولنبيه ﷺ، وبدأ ذلك أيضًا من وقت مبكر، وألفوا الكتب في الطعن والنيل من النبي ﷺ.

ويعتبر بعض المؤرخين أن «يوحنا الدمشقي» ت٧٤٩م أول من ألف كتابًا كاملاً ضد النبي ﷺ، وقد ذكر فيه أن بحيرا الراهب قام بمساعدة الرسول ﷺ في كتابة القرآن، وأن ورقة بن نوفل كان يترجم بعض الأناجيل إلى العربية ويدفع بها إلى النبي ﷺ، كما كتب «مارتن لوثر» في بعض مقالاته: إن محمدًا هو الشيطان، وهو أول أبناء إبليس، وزعم أن الرسول ﷺ كان مصابًا بمرض الصرع، وكانت الأصوات التي يسمعها جزءًا من مرضه، وهو بهذا يريد أن ينكر نزول جبريل على النبي ﷺ، وقد شهد العصر الحاضر إساءات بالغة من هؤلاء المجرمين ضد النبي الأمين ﷺ، وما الرسوم التي ظهرت في الصحف الدنماركية إلا تعبير عن هذا البغض والحرب ضد الإسلام والمسلمين، بل إن كبيرهم الضال «بنديكت» أظهر حالة الحقد والكره الكامنة في نفوس هؤلاء، ولكن الله غالب على أمره، ولن يضعف الإسلام في وجه هؤلاء، وفي كل يوم يكسب أنصارًا وتأييدًا ويزداد أعداء الإسلام خذلانًا وانحرافًا وصغارًا كما في حديث تميم الداري - رضي الله عنه - وفيه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزًا يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر».

وقد كان تميم الداري يقول: قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافرًا الذل والصغار والجزية(٧).

وأختم مقالي هذا بكلمات قالها واحد من هؤلاء، ولكنه كان منصفًا وشهد بعالمية وعلو رسالة النبي ﷺ، وهو بورسورث سميث حيث قال: «تعددت جوانب شخصية محمد، فقد كان في وقت واحد مؤسسًا لأمة، ومقيمًا لإمبراطورية، وبانيًا لدين، وهو وإن كان أميًا فقد أتى بكتاب يحوي أدبًا وقانونًا وأخلاقًا وكتبًا مقدسة في كتاب يقدسه إلى يومنا هذا سدس مجموع النوع البشري، لأنه معجزة في دقة الأسلوب وسمو الحكمة، وجلالة الحق، يقول عنه محمد: إنه معجزته الخالدة، ثم يرى رؤياه في الإسلام في غد الإنسانية ومستقبلها، لم يحرص محمد إلى آخر حياته على شيء إلا على ذلك اللقب الذي تلقب به من أول أمره، وهو لقب اعتقد أنه سيأتي يوم ترضى به أرقى فلسفة وتسلم له به. هذا اللقب هو إنه رسول الله. رسول الله حقًا».

وأقول بعد هذا: والحق ما شهدت به الأعداء، فهو رسول الله حقًا وصدقًا وسيبقى دينه عاليًا منتصرًا مع كيد الكائدين، وافتراء الظالمين، وصدق الله: «بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ».

والحمد لله رب العالمين.

الهوامش :

١- أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير - تفسير سورة الشعراء باب ٢ ج٨ / ٥٠١، ومسلم في كتاب الإيمان باب ٩٨ جـ١ / ١٩٣، ١٩٤.

٢- التفسير الكبير للفخر الرازي ج٨ / ٢٤٣.

٣- تفسير ابن كثير ج٦ / ١٧٥.

٤- البخاري كتاب المناقب باب ٢٩ ج٧ / ١٦٤، ١٦٥، والحديث أخرجه أحمد وابو داود والنسائي.

٥- فتح الباري جـ٧ / ١٦٧.

٦- تفسير ابن كثير جـ١ / ١٧٨.

٧- مسند أحمد جـ٤ / ١٠٣.

٨- هكذا ذكر الكاتب اسم النبي ﷺ دون أن يصلي عليه، والواجب الصلاة عليه عند ذكر اسمه، ولكني لم افعل هنا لأني أحببت نقل كلامه حرفيًا.



إعداد/ معاوية محمد هيكل

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن حرب الإبادة التي دارت رحاها على ارض غزة - رمز الصمود والعزة - على أيدي دولة العصابات اليهودية لهي دليل إدانة لأمة المليار التي اكتفت بدور المتفرج على الأحداث، ولم تحرك ساكنًا، وكأن الذين يُقتلون ويُبادون ليسوا منا ولسنا منهم.

إن ما يجري على أرض فلسطين على مرأى ومسمع من الدنيا لهو وصمة عار في جبين العالم المتحضر الذي ملأ الدنيا صياحًا بالدفاع عن حقوق الإنسان، وهم أبعد ما يكونون عن الإنسانية، فهم أعداء الإنسان، يكيلون بمكيالين، فقتل يهودي عندهم في غاية جريمة لا تغتفر، وقتل شعب مسلم مسالة فيها نظرا واحتلال البلاد وإذلال الناس نشر للديمقراطية وإحلال للسلام! ودفاع المظلوم عن دينه ووطنه إرهاب وإجرام.

إن ما يحدث من تقتيل للمسلمين، وترويع للآمنين، وهدم للمساجد على أرض فلسطين المجاهدة، لهو سلسلة متصلة الحلقات من الإجرام اليهودي عبر العصور.. وسل التاريخ ينبيك عن مذابح دير ياسين وصبرا وشاتيلا وخان يونس وقانا ... إلخ.

اليهود قتلة الأنبياء

فقد تخصص اليهود في سفك الدم الحرام، فهم قتلة الأنبياء، تخلصوا منهم بالذبح تارة، والنشر بالمناشير تارة، والتحالف مع الأعداء تارات أخرى، وليس هناك كفر أشنع ولا أفظع من هذه الأفعال الآثمة، فهذا يحيى عليه السلام أراقوا دمه على صخرة بيت المقدس لما تورع عن إصدار الفتوى لأحد ملوكهم لنكاح إحدى محارمه، وذلك زكريا عليه السلام نشروه بالمنشار تقربًا لملكهم ذلك الذي قتل يحيى، وقد حاولوا قتل عيسى عليه السلام، وعقدوا العزم على اغتياله، فأنقذه الله منهم ورفعه إليه، وحاولوا قتل النبي محمد ﷺ فنجاه الله من كيدهم، قال تعالى: «أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ» [آل عمران: ٨٧].

وليس غريبًا على هؤلاء القوم أن تصدر منهم هذه القبائح والفظائع، فقد تطاولت ألسنة السفه منهم على الخالق سبحانه فقالوا على الله عز وجل – ظالمين غاشمين – ما تعف الألسن عن التلفظ به إلا مسندًا إليهم، فمما حكاه الله تعالى عنهم في كتابه: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ» [المائدة: ٦٤]، ومما نعاه الله تعالى عليهم ووبخهم بها مقولةٌ أخرى لا تقل فظاعةً عن تلك، قال الله تعالى: «قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا ...» [آل عمران: ١٨١].

وجرائم القوم أكثر من أن تحصى في مقالة أو تكفيها عجالة، فقد عم بغيهم وانتشر ظلمهم.

المفسدون حقًا

وإنه لغريب حقًا هذا الصنف من البشر وعجيب شأنه، فأنت لا تكاد ترى حركة مخربة أو فكرة ضالة أو دعوى منحرفة إلا وتجد وراءها اليهود، فهم الموقعون في ذيل كل فتنة، وهم الذين أثاروا الفتن وألبوا الأحقاد على الدولة المسلمة الناشئة في المدينة، وجمعوا بين الأحزاب في الجزيرة لمحاربة المؤمنين، وكانوا وراء إثارة النعرات القومية في الخلافة العثمانية، والتي أدت بعزل الشريعة عن الحكم واستبدال الدستور بها في عهد السلطان عبد الحميد حتى انتهت إلى إلغاء الخلافة، وهم الذين كانوا وراء الموجات الإلحادية في العالم، وهم دعاة الانحلال ونشر الرذيلة، وكانوا وراء الإفساد في الدين وهدمه بشتى الوسائل إما بالدخول فيه لإفساده كما حدث مع عبد الله بن سبأ، وإما برفع شعارات الدعوة إلى توحيد الأديان والطعن في الأنبياء وتسفيه العلماء، وهم الذين أفسدوا مناهج التعليم وزوروا التاريخ وأشاعوا الفساد الأخلاقي.

وهم الذين وضعوا البذرة الأولى في مؤامرة العصر المسماة بأزمة الشرق الأوسط، أولئك هم المفسدون حقًا.

التآمر اليهودي لن يتوقف

قال تعالى: «لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا» [المائدة]. لقد بدأ الصراع مع اليهود منذ اليوم الأول للبعثة النبوية لأنهم كانوا يرون في الإسلام والنبي الجديد ﷺ تهديدًا لمعتقداتهم، وكشفًا لتحريفهم كلام الله، وتاريخهم السيئ مع أنبيائه، وخطرًا على قيادتهم الدينية للعالم، وخوفًا من انتقال هذه القيادة إلى المسلمين؛ أصحاب الرسالة الخاتمة، فالمعركة الحقيقية كانت ولا تزال معهم: «وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا» [البقرة: ٢١٧].

فواجهوا ذلك بكل ما يمتلكون من حقد وكيد وتآمر وتخريب وغدر، سواء أكان ذلك مواجهة مباشرة أو من داخل الصف المسلم نفسه باصطناع النفاق والمنافقين، ومن ثم تغذية الملل والنحل الباطلة والخارجة عن الإسلام باسم الإسلام، فهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا، وهم شياطين النفاق، الذين صنعوه ورسموا دروبه.

والمساحة الكبيرة التي خصصها القرآن الكريم للكلام عن بني إسرائيل، وتاريخهم، وأخلاقهم، وعلاقتهم بالنبوة ليست عبثًا، حتى يكون المسلمون على بينة من أمرهم، فلا يقعوا فيما وقع فيه اليهود، وهم الذين نيطت بهم القيادة الدينية للعالم فلم يرعوها حق رعايتها؛ وليأخذوا حذرهم من جانب آخر لأن التآمر اليهودي لن يتوقف حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

لقد خاطب القرآن الكريم اليهود الذين عاصروا البعثة، ونسب إليهم الجرائم والمؤامرات التي مارسها أجدادهم مع البشرية وأنبيائها، وكأنهم هم أصحاب تلك الجرائم وفاعلوها، وكأن المكر والخداع والتآمر أصبح جبلة وخلقًا وشيئًا عضويًا يلازمهم، ينتقل من الأجداد إلى الأحفاد.

اختبر الرسول ﷺ يهود عصره بالتعامل معهم، وتوقيع الصلح والمعاهدات مع فرقهم وطوائفهم – بني قينقاع والنضير وقريظة – وأعطاهم حقهم كاملاً غير منقوص في معاهدته لهم عندما وصل إلى المدينة، وجعلهم على قدم المساواة مع المسلمين في

الدفاع عنها؛ فماذا كانت نتيجة التجربة الميدانية ؛ تجربة الرسالة الخاتمة - معهم ؟ تلك التجربة التي لا بد من الاهتداء بها في التعامل معهم كما هو واقع اليوم في عالم المسلمين، فها هم بنو قينقاع يهددون المسلمين في أعقاب غزوة بدر الكبرى ويهونون من شأن الانتصار، بقولهم: لقد لاقى محمد ﷺ في بدر قوماً اغماراً - لا علم لهم بفنون القتال - لو نازلنا لأريناه كيف يكون القتال، وكذلك عدوانهم على المرأة المسلمة في حيّهم، وصناعة النفاق التي هزت الصفوف في غزوة أحد قبل المعركة ؛ حيث عاد ابن سلول بمجموعته مخذلاً قوة المسلمين وهم في الطريق إلى المعركة، ثم كيف تأصّل النفاق ليصبح ضرباً من الفرق الباطنية التي تغص في حلق المسلمين، وتمكن اليهود من جديد.

وكذلك خيانة يهود بني قريظة وتحزيبها الأحزاب في غزوة الخندق، وشهادتها للكفار، بأنهم أهدى من الذين آمنوا سبيلاً.

خونة بني النضير

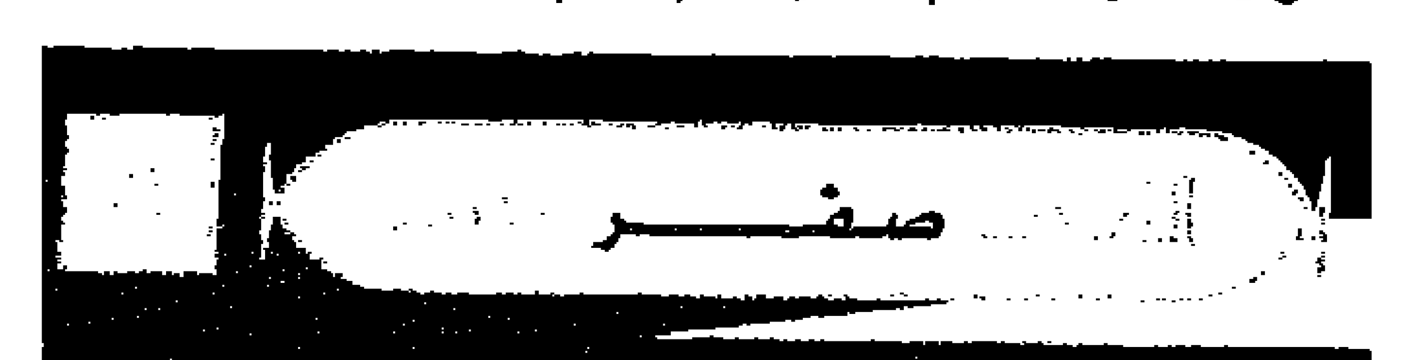
وعندما خرج رسول الله ﷺ مع بعض أصحابه إلى بني النضير - وكانت حصونهم على ميلين من المدينة - يستعينهم في دية الرجلين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري حينما رجع من بئر معونة، تنفيذاً للعهد معهم، فلما أتاهم قالوا: نعم أبا القاسم، نعينك على ما أحببت، ثم خلا بعضهم ببعض، فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله ﷺ قاعد إلى جنب جدار من بيوتهم - فمن يعلو هذا البيت فيلقي عليه صخرة، فيريحنا منه ؟ فانتدب لذلك أحدهم، فصعد ليلقي الصخرة، فأتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ وأخبره بما أراد القوم، فقام ﷺ مظهراً أنه نهض ليقضي حاجته، وترك أصحابه، ورجع إلى المدينة مسرعاً.

وأمر الرسول ﷺ بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم، وبعث رأس النفاق ابن سلول إليهم أن اثبتوا وتمنعوا، فإنا لن نُسْلمكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم... وحاصرهم الرسول ﷺ أياماً، وهم قد تحصنوا ينتظرون نصرة المنافقين دون جدوى، إلى أن أُجْلوا عن المدينة، وفيهم نزلت سورة الحشر، ومن آياتها ذات الدلالة الكبيرة على ما نعاني اليوم، قوله تعالى: «هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ» [الحشر: ٢].

وبذلك يظهر بوضوح أن علاقات اليهود مع المسلمين في مرحلة النبوة والمعاهدات التي وقعت بينهم وبين رسول الله ﷺ لم تغير من طبائعهم شيئاً، وذلك أن الحقد التاريخي اليهودي يمكن أن ينفجر في كل زمان ومكان، فعلى الأمة أن تأخذ حذرها وتعتبر بدروس التاريخ.

الرؤية الدينية اليهودية وخلفية الصراع

إن قيام إسرائيل جاء نتيجة رؤية توراتية محرفة كانت وراء تحريك يهود وشدهم في جميع أنحاء العالم وبوسائل مختلفة وعلى مستويات متعددة للوصول إلى دولة «إسرائيل المزعومة» التي تقيم الهيكل في أرض الميعاد؟ ولم تكن القضية وليدة يوم وليلة، كما يتوهم البعض، وإنما هي ثمرة لجهود مكثفة من خلال رؤية دينية وخطط مدروسة، وتعاون مستمر، وتحكم خفي بالمسارات الدولية، وقدرة على توظيف الكثير من الأشخاص والأحداث لمصلحة القضية، يحكم ذلك كله ويتحكم به إرادة عامة هي وليدة عقيدة تلمودية صنعها لهم الحاخامات ورجال الدين، ولكل فرد يهودي نصيب منها، فاليهود يحاكمون العالم ويحكمون عليه من خلال ما يعتنقونه من قيم، ويفسرون الحركة الإنسانية والنشاط البشري تفسيراً توراتياً محرفاً ويصرون على ذلك، ويرسمون الخرائط الدينية ويغيرون التسميات ويتلاعبون بالأسماء وتتفجر أحقادهم التاريخية، كالألغام الموقوتة هنا وهناك، للانتقام من البشرية، ولأمر يريده الله، أن تكون ساحة انتقامهم مركوزة في قلب العالم الإسلامي فلسطين، وأن يكون أهلها على الخط الأول للمواجهة والوقوف في وجه يهود الذين يهددون العالم الإسلامي كله الذي يعاني الضياع، والضلال والانسلاخ من عقيدته الإسلامية، يعيش فترة التيه والشتات التي خرج منها يهود ليدخلها العرب المسلمون الذين يعيشون حياة الاسترخاء والدعة، ولا يشعرون بهول المأساة وخطورة المذبحة، ولا يحسون بحقوق الأخوة تجاه إخوانهم في غزة ويسلمون النساء والأطفال ليهود، يمزقون أجسادهم ويهتكون أعراضهم، هؤلاء إن لم يستيقظوا من



سباتهم فسوف (يؤكلون كما أكل الثور الأبيض).

أقوالهم وأفعالهم تعكس عقيدتهم

إن سياسة إسرائيل وسلوكياتها تعكس رؤية مجتمع بأكمله لا فرق فيه بين يمين ويسار وإن الخلفية الدينية لليهود لتطفح بها أقوال زعمائهم وأفعالهم.

فعند إعلان قيام دولة إسرائيل قال بن جوريون في الأمم المتحدة معلنًا عقيدته: لا معنى لإسرائيل بدون القدس ولا معنى للقدس بدون الهيكل ولا معنى لقيام هذه الدولة على غير أرض الميعاد وقال: «قد لا تكون فلسطين لنا من طريق الحق السياسي أو القانوني ولكنها حق لنا على أساس ديني فهي الأرض التي وعدنا الله وأعطانا إياها من الفرات إلى النيل ولهذا واجب على كل يهودي أن يهاجر إلى فلسطين، وإن كل يهودي يبقى خارج إسرائيل بعد إنشائها، يعتبر مخالفاً لتعاليم التوراة، بل إن هذا اليهودي يكفر يوميًا بالدين اليهودي».

وقال مفصحًا عن أطماع إسرائيل التوسعية: إن خارطة إسرائيل ليست بخريطة بلادنا إن لدينا خارطة أخرى وعليكم أنتم طلبة المدارس اليهودية أن تجددوها في الحياة وعلى الأمة اليهودية أن توسع رقعتها من الفرات إلى النيل.

بل إن الشعار من النيل إلى الفرات محفور على باب الكنيست الإسرائيلي إلى اليوم، وكذلك العلم اليهودي يرمز إلى هذه الخارطة من خلال خطين أزرقين يمثلان النيل والفرات بينهما نجمة داود المزعومة.

وحينما وصل أوائل المهاجرين اليهود إلى فلسطين، قال شامير: إن هجرة كبيرة كهذه تتطلب أرض إسرائيل الكبرى، وفي سنة ١٩٥٦ عندما وصلت القوات الإسرائيلية إلى حدود سيناء كان في طليعة القوات الزاحفة سيارة تحمل كتاباً ضخما هو التوراة ومن خلفه وقف حاخام يخطب في الجنود قائلاً: يا أبناء إسرائيل إنكم تدخلون الآن الأرض المقدسة حيث تسلم موسى الشريعة فهيا لتطهيرها من الأعداء (المصريين).

وقبل حرب ١٩٦٧م خرج أعوان إسرائيل بمظاهرات تحمل لافتات في باريس سار تحت هذه اللافتات اليهودي الوجودي (جان بول سارتر) وقد كتب عليها وعلى جميع صناديق التبرعات لإسرائيل جملة واحدة من كلمتين هما: «قاتلوا المسلمين».

فالتهب الحماس الصليبي الغربي وتبرع الفرنسيون بألف مليون فرنك خلال أربعة أيام فقط، كما طبعت إسرائيل بطاقات معايدة كتبت عليها «هزيمة الهلال» بيعت بالملايين ... لتقوية الصهاينة الذين يواصلون رسالة الصليبية الأوروبية في المنطقة وهي محاربة الإسلام وتدمير المسلمين.

[كتاب: «قادة الغرب يقولون» لجلال العالم].

وحينما احتلت إسرائيل القدس سنة ١٩٦٧ دخلت جولدا مائير وجميع وزرائها وكانوا يمشون خلف الحاخامات حفاة يبكون وهم سائرون نحو حائط المبكى في القدس القديمة وأخذوا يهتفون مع «موشى ديان» هذا يوم بيوم خيبر، يا لثارات خيبر. قال بن جوريون يوم ٧ يونيه ٦٧ عند دخول القدس القديمة والمسجد الأقصى «هذا أعز يوم مر علي منذ أن قامت إسرائيل إذ توحد فيه شطرا العاصمة المقدسة «القدس» وكذلك رفع ديان شعاره القائل من أورشليم إلى يثرب، وقال وايزمان لرئيس وزراء بريطانيا: لو أن موسى نفسه جاء يدعو اليهود لغير فلسطين ما تبعه أحد. وقال «بيجن» في كتاب «التحدي» يرفع شعاره الدموي: «أنا قاتل إذن أنا موجود».

وقال «كهانا»: إن إبادة العرب واجب مقدس وغدًا لن يصيب اليهود أي عربي لأنه لن يكون في إسرائيل أي عربي.

وجاء في مذكرات «وايزمان» قوله: ولقد قابلت بلفور الذي بادر بسؤالي علي الفور: لماذا لم تقبلوا إقامة الوطن القومي في أوغندا؟ قلت لبلفور: إن الصهيونية حركة سياسية قومية، هذا صحيح، ولكن الجانب الروحي منها لا يمكن إغفاله وأنا واثق تمام الوثوق أننا إذا أغفلنا الجانب الروحي فإننا لن نستطيع تحقيق الحلم السياسي القومي.

[«خطر اليهودية»: لعبد الله التل].

وانظر إلى الحقد الدفين الذي ملأ قلوب أعداء هذا الدين تجاه الإسلام والمسلمين، فعندما تغلب الجنرال الفرنسي (غورو) على جيش «ميسلون» خارج دمشق توجه فوراً إلى قبر «صلاح الدين الأيوبي» عند الجامع الأموي، وركله بقدمه قائلاً: «ها قد عدنا يا صلاح الدين».

[«قادة الغرب يقولون» لجلال العالم].

وهكذا يظهر بوضوح وجلاء وعلى السنة ساستهم وقادتهم عقيدة اليهود في فلسطين، وأن الصراع بيننا وبينهم صراع عقدي ديني في المقام الأول، فهل يعقل المغيبون عن الوعي الغارقون في التيه السائرون في موكب الهزيمة؟

الجهاد وطريق الخلاص

الجهاد هو السمة المميزة لهذه الأمة في تاريخها

الطويل بل هو طريقها إلى الهداية والتمكين في الأرض وإرضاء الله تعالي بإقامة المجتمع الإسلامي الذي يحكمه العدل ويعمه الخير. قال الله تعالى: «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ» [العنكبوت: ٦٩].

والجهاد: ذروة سنام الإسلام لأنه عطاء أعظم ما يكون العطاء عطاء النفس والمال معاً.

والجهاد ماض إلى يوم القيامة لأن العدوان على هذا الدين وأهله قائم إلى يوم القيامة، قال تعالى: «وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» [البقرة: ٢١٧]، والشواهد على ذلك كثيرة وكثيرة جداً، تملأ على المسلم حواسه ويقرؤها في كل ما حوله.

ولعل هذا العدوان المستمر، من لوازم الرسالة الخاتمة، وقدر حملتها الذين نيط بهم القضاء على الباطل ومواجهة جولاته بكل أحقادها لذلك كان الجهاد روح هذه الأمة ودرع حياتها وكان القيام على الحق حتى ياتي أمر الله من أخص خصائصها.

وليس الجهاد أمراً طارئاً على هذه الأمة، ولا فترة عابرة من حياتها أو شعاراً تمارسه في المناسبات. قال تعالى: «وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً» [النساء: ١٠٢]. وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا» [النساء: ٧١].

وللجهاد مقدماته ومقوماته، من الإعداد المستمر والاستعداد المعنوي والمادي، والتدريب عليه بتهيئة مناخه في المؤسسات المختلفة، في الأسرة والمدرسة والتربية والتعليم، والإعلام، وسائر ما يكون في هذا المجال من الأنشطة الكثيرة، لتكون التنشئة جهادية، يعد الفرد فيها للمواجهة المستمرة ويقرأ تاريخه وإسلامه وسيرة سلفه الصالح بأبجدية صحيحة سليمة تحمله إلى مستوي إسلامه وتعرفه بتحديات عصره وتبصره بمواجهاتها.

عمر بن الخطاب وصلاح الدين والجهاد المقدس

تحت راية الجهاد الإسلامي فتح بيت المقدس زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب كما فتحت سائر البلاد الأخرى. وبتثاقل المسلمين إلى الأرض، وعدم نفرتهم واستجابتهم لأمر الله والتزامهم بمنهجه سقط بيت المقدس في يد الصليبيين. وبإيقاد شعلة الإيمان ورفع راية الجهاد الإسلامي استردت الأمة بيت المقدس من جديد، على يد نور الدين وصلاح الدين رحمهما الله حيث عادت الأمة إلى مواقعها الصحيحة بعد رحلة من التيه والضياع والتمزق والعبث الصليبي، وكيد الباطنية الحشاشين.

ولقد كان من أبرز أعمال صلاح الدين قبل أن يوجه ضربته القاصمة للصليبيين في معركة حطين نجاحه في ميدانين عظيمين لتعبئة قوي الأمة الروحية والمادية: ففي مجال الإعداد الروحي: كان لكثرة ما بني من مدارس دينية وزوايا وتكايا حتي قيل: لقد بني نور الدين وصلاح الدين من المدارس والزوايا أكثر مما بني من القلاع والحصون. وأحكم صلته بالعلماء العاملين، يسمع منهم ويهتدي بهداهم، وحول التوجيه العام في الأمة إلى هدف واحد هو إحياء روح الإيمان والجهاد والحنين إلى مسرى الرسول ﷺ في القدس الشريف، حتي كانت كل المواقف والمناسبات تذكي في الأمة روح الجهاد والاستشهاد والحنين إلى المسجد الأقصي والعزم على تحريره وإنقاذه.

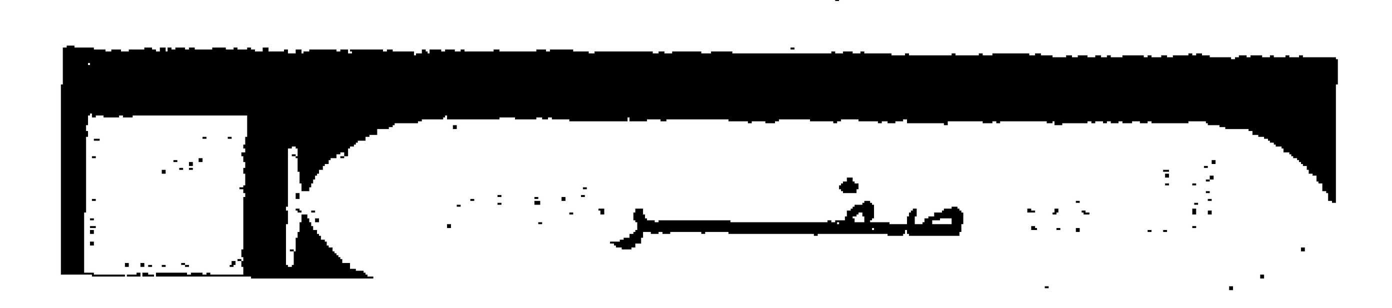
وكان للأدباء والشعراء والعلماء دورهم في هذه التعبئة المعنوية للأمة، وكان يُرى دائمًا كسلفه: نور الدين، رحمهما الله، مطرقاً حزيناً يقول: كيف أسر والمسجد الأقصى في أسر الأعداء. وكان يُرى وهو يحرض المسلمين على القتال ملتاعاً كالثكلي التي فقدت أحد اولادها. هذا في مجال الإعداد المعنوي.

اما في مجال الإعداد المادي:

فقد نجح في توحيد جهود الأمة المادية، وقضي على الفرقة والإنقسام، وازال الخلاف بين زعماء البلاد الإسلامية، حيث وحد مصر وسورية وأعد الأمة عسكرياً وجند قواها ليوم النصر، ووجه ضربته القوية إلى الباطنية الحشاشين الذين تعاونوا مع الصليبيين، وأرسل إلى أخيه العادل في مصر ليحكم الحصار على الصليبيين من ناحية، ونزل بقواته القدس بعد انتصاره في حطين، هذا بعض طريق صلاح الدين رحمه الله إلى تحرير بيت المقدس.

العقيدة هي طوق النجاة

وعقيدة الإسلام التي تربت عليها الأمة هي التي حالت بين اليهود وبين شراء السلطان عبد الحميد



رحمه الله للمرور إلى فلسطين في عصر الاستعمار الأوروبي الصليبي الحديث مع احتضار الخلافة.

والذين لم يتربوا على الإسلام في عصرنا كانوا هم الجسر الحقيقي الذي مكن اليهود من العبور إلى فلسطين وهم الذين حاولوا طيلة القرن الماضي طرح القضية الفلسطينية طرحاً مغلوطاً ووضعها في غير إطارها الصحيح الذي يشهد له التاريخ، ويؤيده الواقع، وتؤكده الأحداث اليومية، وهم لا يزالون يصرون على السير في هذا الطريق المسدود، رغم سقوط الطريق وسقوط أهله.

إن الذين يعملون على سلخ الأمة عن إسلامها ويمارسون الاعتداء على عقيدتها وكرامتها هم طلائع جيش العدو يعيشون في أرضنا ويمهدون لهزائمنا المتلاحقة، والحرب التي تدور رحاها على رؤوس إخواننا في غزة من أجل أنهم أحفاد المسلمين خالد بن الوليد وصلاح الدين ونور الدين وقطز، وتصب عليهم نيران الحقد الصليبي الصهيوني في محاولة إبعادهم عن إسلامهم سلاحهم الحقيقي، فأين سلاح الإسلام في المعركة وأين حقوق الأخوة الإسلامية في التضامن والمساندة والنصرة والموالاة، الأخوة التي لم تفرق يومًا بين أبي بكر العربي، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي، وبلال الحبشي وصلاح الدين الكردي.

الأخوة التي حركت الجيوش بقيادة الخليفة المعتصم من أجل استغاثة امرأة نادت وهي أسيرة في سجون الروم: «وامعتصماه» كلمة سجل التاريخ دويها، وانطلق الجنود على إثرها تملؤهم الغيرة والحمية لهذا الدين، حتى انقذوها من الأسر بعد أن دكوا حصون الروم، ووصلوا إليها، ثم قال لها المعتصم: «اشهدي لي عند جدك المصطفى أني جئت لخلاصك».

ألا إن نصر الله قريب

لقد استمرت الأمة حية باقية مع كثرة السهام التي صوبت إليها، والأزمات والمحن التي حلت بها، وذلك لاعتصامها بربها واعتزازها بدينها.

ويزداد يقيننا بهذه الحقيقة إذا تدبرنا كتاب الله تعالى ونظرنا في بعض آياته، قال تعالى: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا» [النور: ٥٥]، وقال عز وجل: «إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» [البقرة: ١٦٠].

وقال سبحانه: «كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ» [البقرة: ٢٤٩].

وعندما فهم المسلمون هذه الآيات وعملوا بها وارتفعوا إلى مستواها ؛ ليصبحوا أهلاً للنصر، أخذ الله تعالى بأيديهم إلى النصر مع قلة عددهم وعدتهم وتفوق أعدائهم عليهم جيوشًا وأسلحة، وهاكم هرقل ملك الروم يبدي دهشته ويتعجب من نصر المسلمين، فيسأل من حوله هذا السؤال الباحث عن السر، قال: فأنتم أكثر أم هم ؟ قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافًا في كل موطن، قال: فما بالكم تنهزمون ؟ قال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار ويوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويتناصفون بينهم، ومن أجل أنا نشرب الخمر ونزني ونرتكب الحرام وننقض العهد ونغضب ونظلم ونامر بالسخط وننهى عما يرضي الله ونفسد في الأرض، فقال: أنت صدقتني. (البداية والنهاية لابن كثير) فهل من مدكر.

نهاية اليهود

إن قضية فلسطين هي قضية كل المسلمين وليست قضية وطن بعينه ولن تستطيع أي قوة مهما بلغت أن تمحوها من ذاكرة الأمة.

فمعركة الغد الفاصلة بين الإسلام واليهود هي معركة عقدية دينية في الأصل والأساس، وجند الله الموحدون وحدهم هم الذين يفهمون هذه الحقيقة ويعدون لهذا اليوم عدته، ويعلمون علم اليقين أن الله مؤيدهم وناصرهم على عدوهم: «وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ» [الصفات: ١٧١-١٧٣].

والله عز وجل هو المسئول وحده أن يأخذ بيد هذه الأمة إلى أهلية النصر والتمكين، وأن يحقق وعده على لسان رسوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهودي خلفي، فتعالى فاقتله، إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود». (رواه مسلم). وبذلك يتحقق النصر الموعود ويعود لأمتنا مجدها المفقود وتزول من الوجود دولة يهود « وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ» [الروم: ٤-٥].

والله من وراء القصد

بيان من
جماعة أنصار السنة المحمدية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله الصادق الوعد الأمين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد هالني ذلك البيان المشبوه الذي أذاعته قناة الجزيرة في نشراتها الإخبارية يوم الأربعاء ١٤ / ١ / ٢٠٠٩ وزجت فيه بأسماء بعض علماء أنصار السنة، وروجت فيه بفكر التكفير، زاعمة أن مائة عالم من علماء المسلمين حكموا بكفر وردة الولاة والحكام المسلمين بحجة تعاونهم مع العدو الصهيوني وموالاة الكفار على المسلمين، ثم نشر البيان على بعض مواقع شبكة المعلومات «الإنترنت»، وقد زجت فيه بأسماء عشرات الدعاة والعلماء المعروفين بهديهم السلفي المعتدل.

وكذلك بأسماء بعض دعاة أنصار السنة المحمدية من كُتاب مجلة التوحيد والمشرفين على المجلة، بدءًا من المشرف العام (نائب الرئيس)، ورئيس التحرير، وأفراد اللجنة العلمية!!

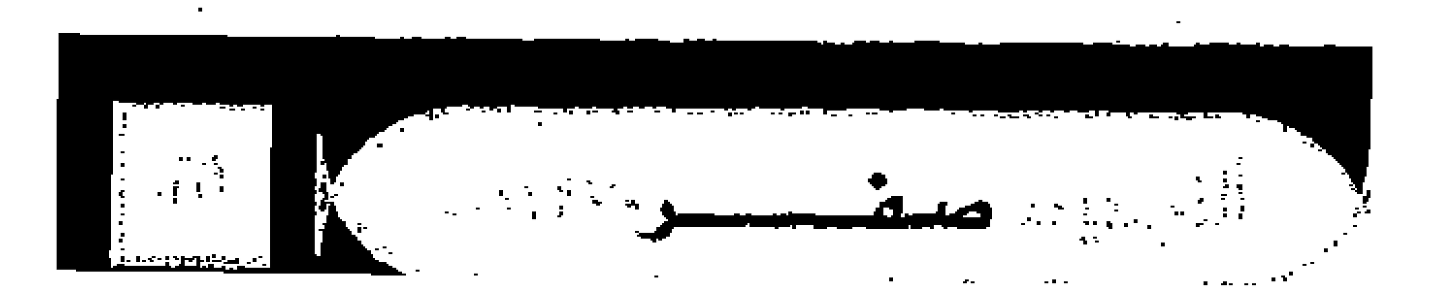
لأجل ذلك قمنا بتكذيب هذا البيان المشبوه الذي يروج لأفكار التكفير ويدعو للخروج على ولاة الأمر في بلاد المسلمين وإشاعة الفوضى في المجتمعات المسلمة، خاصة في مصر المستهدفة إعلاميًا من فريق الإعلاميين على بعض القنوات الفضائية ومواقع الإنترنت.

والذي نريد التأكيد عليه أننا مع إخواننا المستضعفين والمجاهدين في غزة نشد من أزرهم ونعاونهم بكل ما نملك وما نستطيع، وقوافل الإغاثة الخاصة بجمعية أنصار السنة المحمدية لا تزال تتوالى على معبر رفح لإغاثة إخواننا ونجدتهم، ونحن نناصح ولاة أمرنا بالمعروف وننهاهم عن المنكر، وندعو لهم بالتوفيق والسداد والرشاد، ونسمع ونطيع لهم في غير معصية، وليس من منهجنا الخروج عليهم أو دعوة الناس لتكفيرهم، فهذا كله من مناهج المبتدعة وأذناب الخوارج، إنما منهجنا منهاج أهل السنة والجماعة الثابت من لدن أصحاب رسول الله ﷺ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

أقول هذا تبرئة لنفسي ولإخواني وللدعاة السلفيين في جماعة أنصار السنة المحمدية وغيرها، وحفظًا للمنهج الحق من عبث العابثين وتحريف المبطلين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. جمال المراكبي





من نور كتاب الله

طاعة الرحمن عصمة من الشيطان

قال تعالى: «يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ» [الأعراف: ٢٧].

من هدي رسول الله ﷺ

بعد الوضوء

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله. وفي رواية: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، إلا فُتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء. [رواه مسلم]

من جوامع الدعاء

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون. [متفق عليه].

من دلائل نبوته ﷺ

إخبار الشاة النبي ﷺ أنها مسمومة

عن أبي سلمة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أهدت له يهودية بخيبر شاة مصلية (أي مشوية) سمتها، فأكل رسول الله ﷺ منها وأكل القوم، فقال: ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة، (أي الشاة)، فمات بشر بن البراء بن معرور الأنصاري، فأرسل إلى اليهودية، ما حملك على الذي صنعت؟ قالت: إن كنت نبيًا لم يضرك الذي صنعت، وإن كنت ملكاً أرحتُ الناس منك. [سنن أبي داود].

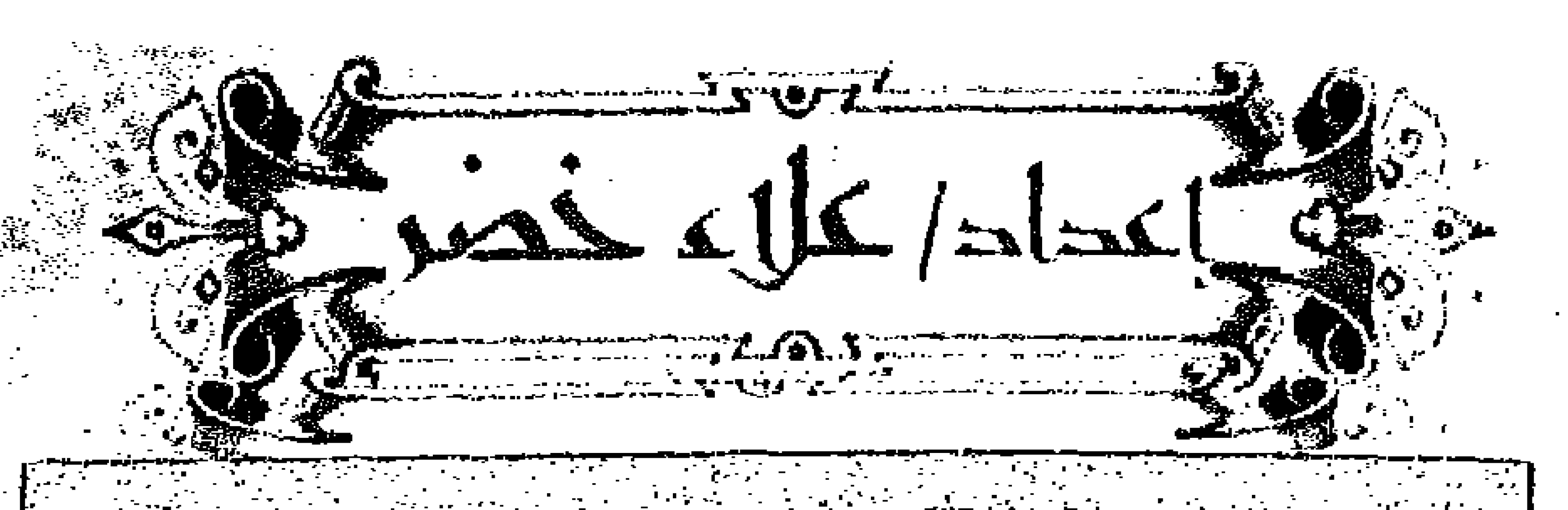
من فضائل الصحابة رضي الله عنهم

عن الأعرج، قال: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ، والله الموعد، كنت رجلاً مسكيناً، أخدم رسول الله ﷺ على ملء بطني، وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم، وقال رسول الله ﷺ: «من يبسطْ ثوبه فلن ينسى شيئاً سمعه مني» فبسطت ثوبي حتى قضى حديثه، ثم ضممته إلي، فما نسيت شيئاً سمعته منه. [صحيح مسلم].

حكم ومواعظ

قال الأعمش: كنا نقعد في المجلس فإذا فقدنا الرجل ثلاثة أيام سألنا عنه فإن كان مريضا عدناه.

قال شماع بن شاه: من عمّر ظاهره باتباع السنة وباطنه بدوام المراقبة وغض بصره عن المحارم وكف نفسه عن الشهوات قال: لم تخطئ له فراسة.



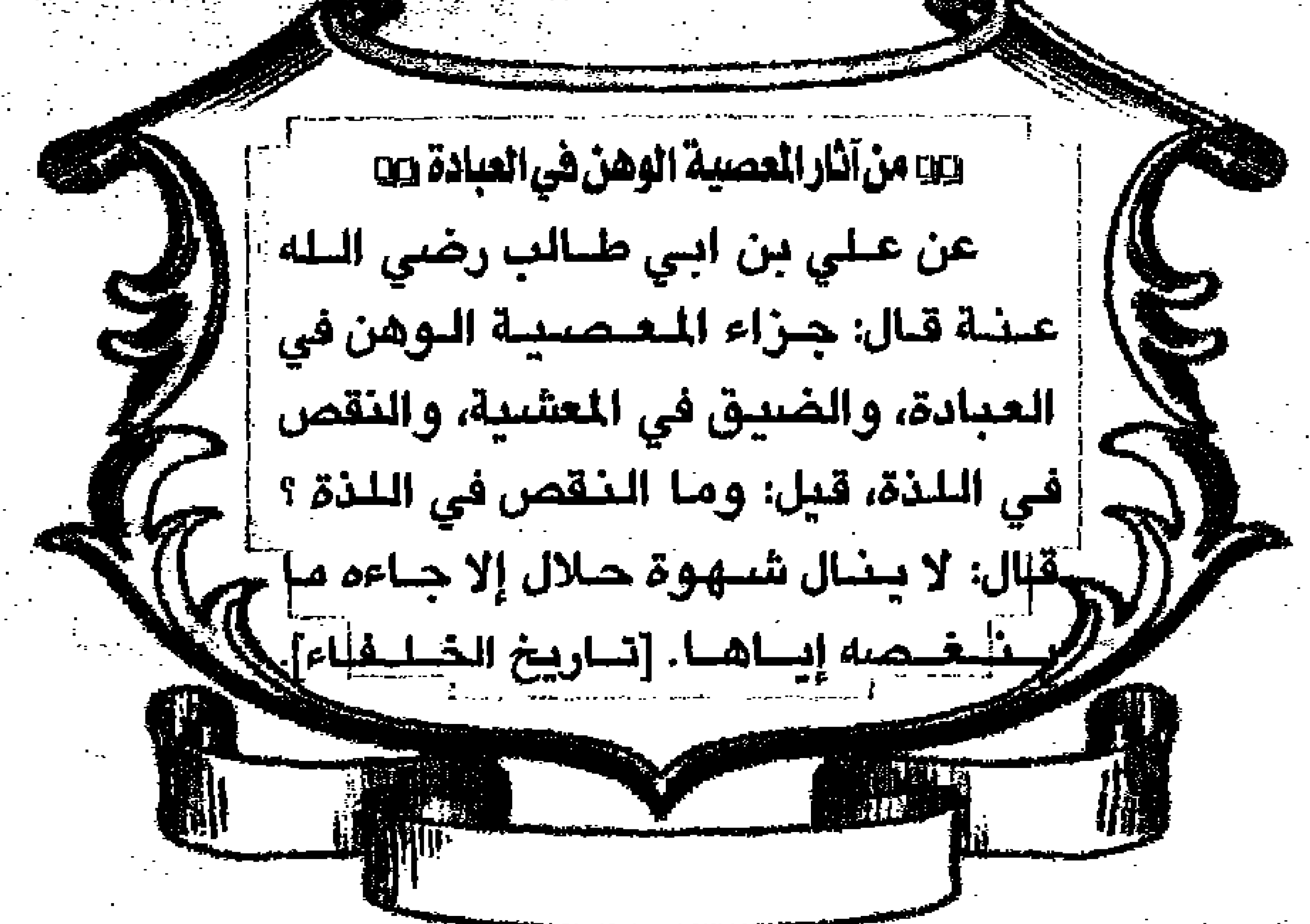
نصيحة ابن عباس رضي الله عنه للوعاظ

عن عكرمة أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حدث الناس كل جمعة مرة، فإن أبيت فمرتين، فإن أكثرت فثلاث مرات، ولا تُمل الناس هذا القرآن، ولا ألفينك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم فتقص عليهم فتقطع عليهم حديثهم فتملهم، ولكن أنصت فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه، وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فإني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون ذلك.

[رواه البخاري]

نصائح للنساء

احرصي على عدم تعليق التمائم من الخرز الأزرق، أو حدوة الحصان، أو الودع، أو الكف (خمسة وخميسة)، أو قرن الفلفل، أو الحذاء القديم، أو الحظاظة، أو الأحجبة على باب المنزل أو داخله أو في السيارة اعتقاداً منك أن ذلك يمنع الحسد أو يجلب الحظ، فإن ذلك من الشرك، أعاذنا الله منه.



من آثار المعصية الوهن في العبادة

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: جزاء المعصية الوهن في العبادة، والضيق في المعشية، والنقص في اللذة، قيل: وما النقص في اللذة ؟ قال: لا ينال شهوة حلال إلا جاءه ما ينغصه إياها. [تاريخ الخلفاء]

من واحة الشعر

الأولاد يقلدون آباءهم في الخير والشر

مَشَى الطاووسُ يومًا باعْوجَاجٍ
فقلَّدَ شَكْلَ مَشْيَتِهِ بَنُوهُ
فقال: عَلامَ تَخْتَالونَ؟ قالوا:
بَدأْتَ بهِ ونحنُ مُقَلِّدُوهُ
فَخَيِّرْ سَيْرَكَ المُعْوَجَّ واعدِلْ
فإنْ عَدلْتَ نحنُ مُعَدِّلُوهُ
أمَا تعرِفُ أبانا كُلُّ فرعٍ
يجاري في الخُطَى مَنْ أدَّبُوهُ
وَيَنْشَأُ ناشِئُ الفِتْيانِ مِنَّا
عَلَى مَا كانَ عَوَّدَهُ أبوهُ

أحب القلوب إلى الله !

قال ابن القيم رحمه الله: «من أراد صفاء قلبه فليؤثر الله على شهواته، إذ القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله تعالى بقدر تعلقه، القلوب آنية الله في أرضه، فأحبها إليه أرقها وأصلبها وأصفها، وإذا غذي القلب بالتذكر وسقي بالتفكر ونقي من الدغل رأي العجائب وألهم الحكمة». [الفوائد لابن القيم].

من سير السلف

عن مصعب بن سعد قال: قالت حفصة لعمر رضي الله عنه: لو لبست ثياباً ألين من ثيابك وأكلت طعاماً أطيب من طعامك، فقال لها عمر: ألم تعلمي من أمر رسول الله ﷺ و أبي بكر كذا وكذا؟ فقالت: بلى. فقال: أريد أن أشاركهما في عيشهما الشديد لعلي أشاركهما الرَّخِيَّ. [شعب الإيمان]



اليهود قوم قساة القلوب لا يرحمون شيخًا لكبره ولا طفلاً لصغره، ولا امرأة لضعفها، ولذلك تراهم في عدوانهم الغاشم على غزة المسلمة يقتلون الأطفال الصغار حتى الرضع منهم، بل قد قصفوا المرضى في المستشفيات وقتلوا الأطباء وهم يقومون بعملهم الإنساني وهذه هي طبيعتهم على مر التاريخ.

إعداد/ وحيد عبدالسلام بالي

اليهود والأنبياء

قتل اليهود نبيًا من الأنبياء وهو يحي عليه السلام وتآمروا على عيسى عليه السلام لقتله لولا أن نجاه الله منهم فرفعه إلي السماء.

ودبروا أكثر من مرة لاغتيال نبينا محمد ﷺ لمَّا ذهب ومعه أبو بكر وعمر إلي يهود بني النضير ليعاونوه في دية الرجلين اللذيْن قتلهما عمرو بن أمية الضمري،على حسب بنود المعاهدة بينهم وبين النبي ﷺ فرحبوا بالنبي ﷺ وأجلسوه بجوار بيت لهم، وذهبوا ليحضروا له المال ثم تآمروا فيما بينهم وقالوا: ليصعد رجلٌ منكم فوق سطح البيت ليلقي على محمد ﷺ حجرًا فيقتله، واختاروا لتلك المؤامرة الخبيثة

عمر بن جحاش اليهودي، وبينما هم كذلك إذا بالوحي ينزل من السماء على قلب الحبيب محمد ﷺ فيخبره بما تمالؤا عليه فيقوم منصرفًا إلي المدينة ثم جاء بجيش حاصر بني النضير وأجلاهم عن المدينة. وفي محاولة أخري لاغتيال النبي ﷺ أرسلوا إليه امرأة يهودية بشاة مصلية (مشوية) و أهدتها له وهي تعلم أنه لا يرد الهدية، وكانت تعلم أنه يحب الذراع فدست له السم في الشاة وأكثرت في الذراع. فقبل منها الهدية فقال لأصحابه: كلوا. ثم تناول الذراع فأكل منها، ثم قال لأصحابه: أمسكوا فإن هذه الذراع تخبرني أن بها سمًا. ثم جيء باليهودية واعترفت.



اليهود ورب العزة تبارك وتعالى:

إن اليهود سبوا الله جلا جلاله، فلما نزل قوله تعالي «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» [البقرة: ٢٤٥].

قال اليهود: إن رب محمد فقير يطلب القرض من الناس فانزل الله قوله «لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ» [آل عمران: ٨١].

طبيعة المعركة:

المعركة بين المسلمين واليهود ليست معركة أرض إنما هي معركة عقيدة «وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا». ولن يستطيعوا إن شاء الله تعالى.

فهي ليست قضيه فلسطينية أو عربية أو قومية، إنها قضيه إسلامية. فاليهود يعتقدون أنها أرض الميعاد ولذلك يفتي حاخاماتهم بأن أي يهودي في العالم يستطيع أن يهاجر إلي أرض الميعاد فليفعل (يعني أرض فلسطين) ومن لم يهاجر فهو كافر بالدين اليهودي.

شاهد من التاريخ:

حينما حارب المسلمون إسرائيل تحت شعار العروبة هُزموا في سنة ١٩٤٨م وحينما حاربوها تحت شعار القومية هُزموا في سنة ١٩٦٧م ولكنهم انتبهوا فنشروا الدعاة في صفوف الجنود وحضوهم على الجهاد والدفاع عن العقيدة والدين فلما تأهل الجنود إيمانيًا خاضوا حرب ١٩٧٣م فانتصروا على اليهود. فيجب أن نجعلها قضية إسلامية لننتصر على اليهود.

اليهود قوم جبناء:

فهم حتى الآن لم يستطيعوا أن يقاتلوا رجال المقاومة الإسلامية في غزة وجهًا لوجه لأنهم جبناء كما وصفهم الله تعالى بقوله: «لاَ يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْقِلُونَ».

موقفنا من الأحداث:

١- يجب أن نشد أزر إخواننا بالتشجيع ورفع الروح المعنوية لهم عبر وسائل الإعلام.

٢- الدعاء لهم بالثبات والنصر على الأعداء ففي صحيح البخاري وسنن النسائي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّمَا يَنْصُرُ اللَّهُ هَذِهِ الأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلاَتِهِمْ وَإِخْلاصِهِمْ».

٣- المساعدات المالية والغذائية والطبية.

٤- ترسيخ مفهوم الولاء والبراء في قلوب المسلمين.

٥- تعلُّم الحِكمَ الشرعية في الابتلاء.

٦- الدعوة إلي تعليق القلوب بالله وحده.

٧- بيان الثمرات من هذا البلاء حيث حرك الإيمان في القلوب وأعاد ذكر الجهاد على الألسن، وبين تألم المسلمين لإخوانهم وأظهر صفة كريمة من صفات أمة الجسد الواحد وأظهر نماذج من الصمود في وجه الطغيان.

وأسأل الله أن ينصرهم وأن يثبتهم وأن يهلك عدوهم عاجلاً غير آجل. والحمد لله رب العالمين.

وقفات مع مأساة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فقد ابتليت الأمة الإسلامية بمصيبة الاعتداء على غزة من قبل الجيش الصهيوني المجرم، وجاءت تلك المصيبة لتزيد النفس همًا والقلب حسرة على ما يجري للمسلمين في كل مكان، ولنا مع هذه المصيبة الوقفات الآتية:

الوقفة الأولى: الأسباب التي أدت إلى تلك المصيبة

هناك أسباب عدة أدت إلى تلك المصيبة ولكن يمكن إجمال تلك الأسباب في الآتي:

السبب الأول: التنازع والتناحر بين المسلمين:

فإن المسلمين قد وقع بينهم التنازع والتناحر، وبخاصة المسلمين في فلسطين وما وقع ذلك إلا لأننا خالفنا أمر الله، وأمر رسول الله ﷺ، والسنن الكونية للنصر ؛ أما أمر الله، فقد خالفوا قوله تعالى: «وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» [الأنفال: ٤٦]، وأما أمر رسول الله ﷺ: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا كما أمركم، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا، التقوى هاهنا، ويشير إلى صدره، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وعرضه، وماله، إن الله لا ينظر إلى أجسادكم، ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم». [رواه البخاري ومسلم].

أما السنن الكونية للنصر فإن الفشل والتنازع يؤدي إلى الهزيمة، ويؤدي إلى النصر والاجتماع، فمن خالف السنن الكونية فقد استجلب لنفسه أسباب الهزيمة وليس أدل على ذلك من قوله تعالى: «وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ» [آل عمران: ١٥٢]، فإن الصحابة لما خالفوا أمر النبي ﷺ وتركوا أماكنهم على الجبل في غزوة أحد، حل بهم ما حل من القتل والإصابة والفرقة، بالرغم مع وجود النبي ﷺ بينهم.

السبب الثاني: التحريش بين المسلمين:

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون، ولكن في التحريش بينهم». [رواه



إعداد المستشار / أحمد السيد علي

الترمذي وصححه الألباني]، فالشيطان حينما يرى تأليف المسلمين فإنه يسعى إلى التحريش بينهم، وللشيطان أعوان يساعدونه في الوصول إلى قصده منهم:

١- اليهود: فقد أخرج الطبري بسند فيه ضعف عن زيد بن أسلم رضي الله عنه قال: «مر شاس بن قيس وكان شيخًا يهوديًا قد عسا (أي كبر) عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين، شديد الحسد لهم، على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم، يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من ألفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: قد اجتمع ملأ بني قَيْلَة بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار، فأمر فتى شابًا من يهود كان معه، فقال: اعمد إليهم فاجلس معهم، ثم اذكر يوم بُعاث وما كان من قبله وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار، ففعل، فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب، فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم رددناها الآن جذعة (يعني إحياء الحرب التي كانت بينهم) وغضب الفريقان جميعًا وقالوا: قد فعلنا، موعدكم الظاهرة (أي الحرَّة) السلاح السلاح فخرجوا إليها، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم، فقال: «يا معشر المسلمين، الله الله، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر وألف بين قلوبكم ؟» فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان، وكيد من عدوهم، فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضًا، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس.

فانظر أخي الحبيب إلى ما فعله ذلك اليهودي الحاقد شاس بن قيس من التحريش بين المسلمين، ولعلك تعتريك الدهشة إذا علمت أن أشد الأحزاب اليهودية تطرفًا هو حزب «شاس»، وما زال اليهود يحرشون بين المسلمين، فتأتي الوفود إلى القاهرة ثم تعود إلى إسرائيل فتصرح بتصريحات تبغي الوقيعة بين المجاهدين في فلسطين وبين المصريين والسعوديين والأردنيين، فينبغي عدم ألا ننساق وراء هذه التصريحات ؛ لأن القوم أهل كذب وبهتان.

٢- الشيعة: ومن ذلك ما فعله الرافضي الخبيث زعيم حزب اللات من دعوته للمصريين للخروج ومواجهة الشرطة المصرية وفتح معبر رفح، فإن الشرطة لن تستطيع قتل الملايين، وكأن سقوط المئات في تلك المواجهات أمر جائز عند ذلك الخبيث، وهو ما لا يجوز شرعاً.

السبب الثاني: الركون إلى الدنيا وترك الجهاد:

فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم». [أبو داود وصححه الألباني].

فقد بين النبي ﷺ أن الناس إذا أسرفوا في المعاصي ومنها بيع العينة - وهو أحد البيوع الربوية - وانشغلوا بإصلاح الدنيا وأعملوا معاولهم في هدم هذا الدين بترك الجهاد، سلط الله عليهم ذلا لا ينزعه حتى يرجع الناس إلى دين الله تعالى بفعل الواجبات وترك المحرمات والحافظ على بيضة هذا الدين، وإذا نظرنا الآن لحال المسلمين وجدنا أكثرهم قد انغمس في المحرمات وعمروا دنياهم بخراب دينهم، فكان هذا الذل الذي نراه في كل مكان، وصدق فينا قوله ﷺ: «يوشك أن تداعي عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قيل: يا رسول الله، فمن قلة يومئذ، قال: لا، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، يجعل الوهن في قلوبكم، وينزع الرعب من قلوب عدوكم لحبكم الدنيا وكراهيتكم الموت». [اخرجه أبو داود وصححه الألباني].

الوقفة الثانية: العبر والحكم المستنبطة من هذه المأساة

من وسط هذه المأساة العظيمة نستخلص بعض العبر والحكم والدروس وهي :

أولاً: تمييز الصفوف:

إن الله عز وجل يبتلي المسلمين بتلك المصائب ليميز الخبيث من الطيب، قال تعالى: «الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ» [العنكبوت: ١- ٣]، وفي غزوة أحد خرج بعض المنافقين مع رسول الله ﷺ ولما رأوا ما حدث بأحد عادوا ونالوا من الإسلام بألسنتهم وأظهر الله نفاقهم، قال تعالى: «إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ» [آل عمران: ١٤٠-١٤٢]، وقال: «مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ» [آل عمران: ١٧٩].

ففي مصيبتنا هذه علم المجاهدون في فلسطين من يجاهد معهم ويعاونهم، ومن يتعاون مع اليهود بإمدادهم بمعلومات عن المجاهدين.

ثانيا: النصر مع الصبر

فالمسلم الحقيقي يعبد الله عز وجل في السراء والضراء وتتجلى العبودية الحقة لله عند المصائب حينما يثبت المسلم على دينه بخلاف البعض من الناس: «يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ» [الحج: ١١]، ففي غزوة الأحزاب ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً، وظهرت عبودية المؤمنين الحقة في تلك الغزوة حيث قال الله عنهم: «وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا» [الأحزاب: ٢٢]، بينما قال المنافقون والذين في قلوبهم مرض: «مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا» [الأحزاب: ١٢]، وفي مصيبتنا هذه نرى بعض المسلمين يقول: أين الله مما يحدث في غزة ؟ ولماذا لا ينصر أهلها ؟ وينقلب على عقبيه، وشتان بينه وبين ما فعله أصحاب النبي ﷺ حينما تعرضوا للفتن، فهذا خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له

في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا ؟ فقال: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون». [رواه البخاري].

فخباب ومن معه وقد لقوا من المشركين شدة لم يقولوا للنبي ﷺ: أين ربك مما نلاقيه ؟ ولماذا لا ينصرنا؟! وإنما طلبوا من النبي ﷺ النصرة بالدعاء، فحثهم النبي ﷺ على الصبر على الفتن والمصائب ويشرهم بالنصر والأمن والأمان.

ثالثاً: رفع الله عز وجل لمنزلة أوليائه

فالحق تبارك وتعالى هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لم تبلغها أعمالهم، فيرفعهم الله عز وجل بالبلاء والمحنة قال النبي ﷺ: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط».

[رواه الترمذي وحسنه الألباني].

وقال: «ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة». [رواه الترمذي وحسنه الألباني].

رابعاً: صلاح الآباء يفيد الأبناء

قال تعالى: «وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ» [الرعد: ٢٢، ٢٣].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه مرفوعًا إلى النبي ﷺ: «إن الله ليرفع ذرية المؤمن إليه في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه»، ثم قرأ: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ» [الطور: ٢١].

فانظر أخي الحبيب إلى الدكتور نزار ريان عاش عمره مجاهداً في سبيل الله، ولقي الله هو وزوجاته الأربع وسبعة من أولاده، فنسأل الله عز وجل أن يجعلهم ممن قال الله فيهم: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ» [الطور: ٢١].

خامساً: انهيار بعض المصطلحات الغربية

فقد ملأ الغرب الدنيا ضجيجًا وصخبًا بمصطلحات «حقوق الإنسان»، و«حوار الحضارات»، و«الأخوة الإنسانية» وكلها انهارت مع تلك الحرب، وغيرها من الحروب التي شُنت على الإسلام وأهله، فحقوق الإنسان لا تكون إلا إذا تعلقت بالإنسان الغربي أو غير المسلم، بل إن الغرب حافظ على حقوق الحيوان، ولم يدافع عن حقوق الإنسان المسلم في العيش بسلام، فهذه ممثلة فرنسية دأبت على رفع الدعاوى ضد المسلمين بزعم انتهاك حقوق الحيوان وذلك لذبحهم الأضاحي في عيد الأضحى، وفي بلجيكا ترسل الشرطة طائرة لنقل هرة صدمتها سيارة إلى المستشفى لإسعافها، وهذا المتحدث باسم البيت الأبيض يخرج لينعي للعالم وفاة قطة أسرة بوش، ولم نرى الغرب يحرك ساكنًا لنجدة الأطفال والنساء والشيوخ والعجائز المسلمين في غزة وفي غيرها، لأنهم مسلمون !!

فعلى المسلم أن يعلم حقيقة ما يُحاك له ويعود إلى رشده ولا يتعلق بتلك المصطلحات، سيما وقد ظهرت قسوة قلوب القوم، فالمرأة بطبيعتها هينة، لينة، مرهفة الحس، ولكن هذه

وزيرة خارجية الكيان الصهيوني لا تعبأ بمشاهد القتل والدمار والأشلاء، وصدق الله فيهم: «ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً» [البقرة: ٧٤].

الوقفة الثالثة: ماذا يجب على كل مسلم حيال تلك المصيبة

أولاً: التوبة إلى الله تعالى والإقلاع عن المعاصي:

١- قال تعالى: «وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» [النور: ٣١]، فالفلاح كل الفلاح في التوبة، وقد علق النبي ﷺ رفع الذل على التوبة والرجوع إلى الدين، واعلموا أن الله عز وجل قد حرك الجماد لرجل تاب، فقد أمر الله عز وجل الأرض بأن تتحرك لرجل قتل مائة نفس ثم تاب حتى يكون أقرب إلى أرض التوبة، ففي الصحيحين: «فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدي وإلى هذه أن تقربي وقال: قيسوا ما بينهما، فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر فغفر له».

ثانيًا: نصرة أهل غزة بالنفس والمال واللسان:

قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» [الصف: ١٠، ١١]، وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم». [رواه أبو داود وصححه الألباني].

ومعنى النصرة هنا بأي واحد من هذه الثلاث، كل حسب استطاعته، فإن الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها، ومع تغير الحال الآن عما كان عليه في الماضي من تقسيم الدولة الإسلامية إلى دويلات، ووضع الحدود بينها بحيث لا يستطيع أحد أن يعبرها فلا أقل من دعمهم بالمال والغذاء والدواء والدعاء، والحمد لله، فقد هبت الشعوب لنجدة أهل غزة بالمال، ونحن ننبه إلى أن المظاهرات التي تخرج ويختلط فيها الحابل بالنابل والمحسن بالمسيء لن تقيد في القضية، فنحن نرى على شاشات التلفاز العديد من المتبرجات يخرجن إلى المظاهرت، وربما خرج إليها من لا يصلي متناسين قوله تعالى: «إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ» [محمد: ٧].

فإذا أردنا نصرة الله لنا فلا بد أن ننصر الله بإقامة شرعه في أنفسنا وأهلينا، وما يُنفق على هذه المظاهرات لا بد وأن يوجه إلى دعم أهلنا في غزة، كما يجب الحفاظ على أمن البلاد حتى لا نعالج فتنة بفتنة أشد.

ثالثًا: الاعتصام بحبل الله والاتحاد بين المسلمين: قال تعالى: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا» [آل عمران: ١٠٣].

فيجب على جميع المسلمين الاتحاد والاعتصام بشرع الله، وترك النزاع والفرقة.

رابعًا: على جميع حكام العرب والمسلمين: أن يتحدوا على قلب رجل واحد ويعملوا جاهدين على وقف هذه البربرية الصهيونية ويعلموا أنهم موقوفون بين يدي الله ومسئولون عما استرعاهم، قال ﷺ: «كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راعٍ ومسئول عن رعيته».

ويجعلوا رجاءهم في الله وليس في الأمم المتحدة ومجلس الأمن وأمريكا «وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ».

وأخيراً: نسأل الله عز وجل أن يرفع عنا هذا البلاء، ويرد الذين كفروا عن بلاد المسلمين ويتقبل قتلانا عنده من الشهداء ويوحد المسلمين ويرفع رايتهم ويجعل بأسهم على عدوهم شديد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المنهج المعلوم .. والواقع المحتوم

إعداد/ أحمد صلاح رضوان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فمع بداية عام هجري جديد كم كان يَودُّ الغيورون والمصلحون في هذه الأمة أن يأتي علينا هذا العام وقد انتهت جراحات الأمة وآلامها، ولكن الناظر إلى حال أمته لا يكاد يقلب بصره إلا ويرتد البصر إليه خاسئًا وهو حسير، ما الذي جرى لنا؟ أوَلَسنا أمة الخيرية؟ لماذا تحولت الأمة إلى واقع الغثائية؟ حتى ظن بعض المسلمين بربهم الظنونا، وأنه لا أمل في عودة هذه الأمة العظيمة إلى رشدها ومجدها، فيصده سوء فهمه في دينه عن الأخذ بأسباب النصر.

كانت الأمة في عز ونصر وتمكين لما كانت منقادة لأمر الله ورسوله، تقدم الإسلام في كل شيء، وعلى كل شيء، ولما تخلت الأمة عن منهج ربها ومصدر عزها أذلها الله لأراذل الناس، ولمَن ضُربت عليهم الذلة.

أخرج أبو داود في سننه عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «وجُعل الذلة والصغار على من خالف أمري».

إن معرفة الداء والدواء من مستلزمات العز والنصر، فالداء الذي أخر الأمة وعرقلها عن مسيرها هو الذنوب والمعاصي، ودواؤها العودة إلى الله تعالى.

قال ابن القيم - رحمه الله -: والله ما طغى عليك العدو إلا لما تخلى عنك الولي، فلا تحسبن أن العدو غالب، ولكن الله عنك أعرض. «مدارج السالكين».

لذلك فإن من أوجب الواجب علينا في هذه الأيام أن نقيم شيئين إن أردنا نصرة لهذه الأمة المباركة:

أولاً: فهم الواقع.

ثانيًا: فهم واجبنا في ذلك الواقع.

أولاً: فهم الواقع

الواقع الذي نعيشه هو الصراع بين الإسلام والكفر، وبين الحق والباطل، فالصراع بين الإسلام والكفر قديم، وسيظل إلى يوم القيامة، قال تعالى: «وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا».

ولقد تعرض الرسول والمسلمون معه لمثل هذه الأحداث؛ من القتل والتهجير، وصبروا حتى أتاهم نصر الله على الكفر وملته.

واجبنا في هذا الواقع

ما هو الواجب على كل مسلم أمام ما يحدث هذه الأيام؟ أوجب الواجب على كل مسلم في هذه الأيام العودة جميعًا إلى الله، وأن نحقق المنهج الصحيح فينا وبيننا، فلا نصر للأمة إلا

بتصحيح المنهج.

فالتوحيد شرط الله في تحقيق الوعد بالنصر والتمكين، قال تعالى: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا» [النور].

إن الرسول ﷺ كان يعلم الصحابة التوحيد ويحذرهم من خطر الشرك، فربى بذلك جيلاً من الموحدين نشروا الإسلام شرقًا وغربًا، وعمت الأرض بركة الدعوة، ثم مات ﷺ وخرج الموحدون الذين تربوا على المنهج الصحيح وفتحوا الدنيا وأشرقت شمس التوحيد على ربوع المعمورة بأكملها، والأمة الآن تريد نصراً مؤزراً وفتحًا مبينًا، فيها مَن يطوفون بالأضرحة ويتوسلون بغير الله، وينزلون حاجتهم بالأموات من دون الله، فأفسد هؤلاء في الأرض بالشرك بعد إصلاحها بالتوحيد فتغير الحال، ولله في خلقه سنة لا تتغير ، فلا نصر للأمة، ولا عود لها إلى عزها وأصل شرفها إلا بلزوم المنهج الرباني وسلامة الاعتقاد والخُلوص من أدران الشرك، فالأمة لا تُنصر بالشعارات الزائفة، ولا بالمظاهرات والحماسات العجولة، ففهم الواقع والعود إلى المنهج الشرعي ضرورة حتمية لهذه الأمة إن أرادت نصراً وعزًا، ولا تتعجل شيئًا من هذا إلا بالتصفية للمنهج والأخذ بأسباب النصر من القرآن والسنة، فلا محدثات ولا بدع، وقد تركنا الرسول الأمين ﷺ على المحجة البيضاء، ولنسلك سبيل الصحابة رضي الله عنهم؛ قلة في عددهم، كثرة بإيمانهم وسلامة معتقدهم عن الله ورسوله، لذلك نصرهم الله وجعلهم سادة العالمين، «فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ» [الحشر: ٢].

بشرى وأمل

في هذا الظلام الدامس يخرج النور بإذن الله، فمهما طال الليل فلا بد من طلوع الفجر، «وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» [آل عمران: ١٣٩]، وفي «صحيح مسلم» من حديث تميم الداري: أن النبي ﷺ قال: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن مُلك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها».

وفي صحيح البخاري عن خباب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «والله ليتمن الله هذا الأمر...».

لقد مر على هذه الأرض يوم لم يكن فيها من يعبد الله إلا ثلاثة هم: «إبراهيم عليه السلام، وزوجه سارة، وابن أخيه لوط»، ومع ذلك نصر الله هؤلاء الثلاثة، فالغربة لا تزيد المسلم إلا صموداً على الحق الذي معه، والله تعالى وصف إبراهيم عليه السلام بأنه أمة، مع أنه كان يدعو إلى الله وحده، ولكنه حقق منهج الله فيه ومراد الله منه، فكان أمة وحده.

فالمسلم في هذه الغربة الموحشة لا يستوحش ولا يخاف لأنه مستأنس بالله وحده، ويعلم أنه منصور إن عاد وحقق منهج الله فيه، وطهر نفسه وقلبه من درن الشرك والبدع التي أخرت الأمة وحولتها إلى هذا المستنقع الآسن من الضعف والهوان، لقد كتب الله الغلبة لحزبه، قال تعالى: «كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ» [المجادلة: ٢١].

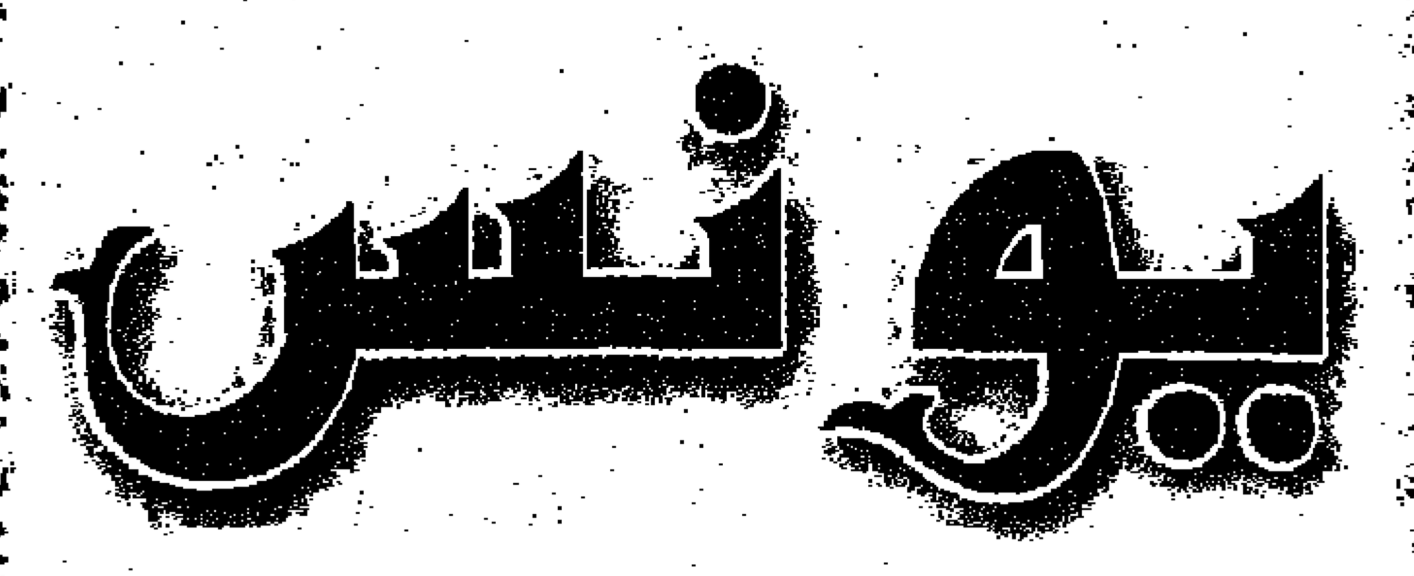
فالعودة إلى منهج السلف الصالح في الأقوال والأفعال والأخذ بالسنن وترك البدع وتصفية المنهج مما علق به من الشرك والبدع أهم عوامل النصر والتمكين لهذه الأمة، والله عز وجل يقول: «إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ» [محمد: ٧].

ولله در القائل:

محن أخا الإسلام كنت محلها
فإذا جزعت من الخطوب فمن لها
فاصبر فإن الله يُعقب فرجه
ولعلها أن تنجلي ولعلها
ويحلها من كان صاحب عقدها
ثقة به أن كان يملك حلها

فاللهم انصر إخواننا المستضعفين من المسلمين في كل مكان، وانصرنا على أنفسنا، وردنا إلى ديننا رداً جميلاً، إنك ولي ذلك والقادر عليه.

القصة في كتاب الله



«عليه السلام»

الحلقة الثالثة

«فنادى في الظلمات»

إعداد/ عبدالرازق السيد عيد



الحمد لله مجيب المضطر إذا دعاه، وكاشف السوء، لا يخفى عليه من أمر خلقه شيء في الأرض ولا في السماء على قمم الجبال أو في أعماق البحار، أما بعد:

فقد وقفنا معًا في اللقاء السابق حول معنى (مغاضبًا)، وانتهينا إلى أن غضب يونس - عليه السلام - كان على قومه لربه، وقدمنا هناك الأدلة وكانت هذه هي الكلمة الأولى، أما الكلمة الثانية فمع قوله تعالى: «فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ».

«نقدر» ومنه: يقْدِر، وقُدر، نقدْر بمعنى نضيِّق، ولذلك ذهب جمهور المفسرين إلى هذا المعنى، واستدلوا بأدلة قوية لا تقبل المناقشة من كتاب الله، ومنها قوله تعالى: «أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ» [الإسراء: ٢٩]، وقوله تعالى: «وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ» [الطلاق: ٧]، وقوله تعالى: «وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ» [الفجر: ١٧]، فالمعنى واضح والقرآن يفسر بعضُه بعضًا فهو من التضيِّق وليس من القدرة، كما يتوهم البعض لأول وهلة، ولا يمكن أبدًا أن يظن يونس عليه السلام هذا الظن، (أي عدم قدرة الله عليه) فهذا لا يظنه عاقل فكيف بنبيٍّ، ولكن يأتي هنا سؤال مؤداه لماذا ظن يونس أن الله - سبحانه - لن يضيق عليه ؟ والإجابة لأنه عندما ذهب مغاضبًا قومه لم يخرج بإذن من الله بل اجتهد وقاس ذلك على ما فعله لوط عليه السلام أو غيره من الأنبياء ولكنه نسي أمرًا وهو أن هؤلاء الأنبياء عندما وَقَّتُوا لأقوامهم العذاب إنما وقتُوه بأمر من الله، وعندما خرجوا أيضًا خرجوا بإذن الله لكنه - أي يونس - لم يفعل ذلك، وقد أدرك يونس - عليه السلام - هذا الخطأ عندما علم بتوبة الله على قومه فخرج على وجهه هائمًا لا يدري أين يذهب لكنه يريد شيئًا واحدًا ألا وهو توبة ربه عليه، ألم تر أنه نادى في الظلمات قائلاً: «لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ».

وقبل أن نجيب على هذا السؤال نسأل سؤالاً آخر: هل أذنب يونس حقًا ذنبًا يستحق التوبة؟ أو وقع في تقصير ما؟ وهنا نحب أن نوضح أمراً على جانب كبير من الأهمية، فالهفوة التي تقع من العالم ليست مثل الهفوة التي تقع من الجاهل، والتقصير من النبيِّ ليس كالتقصير من غير النبيِّ.

فكلما ازداد العبد قربًا من الله كان أكثر خشية لله وأكثر دقة في حسابه لنفسه مع الله، ألم تعلم أن محمدًا ﷺ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كان يقيم الليل حتى تفطرت قدماه، بهذا الفهم نقول: نعم وقع يونس في تقصير يحتاج إلى توبة منه وهذا على قدر علاقته بربه، وهذا التقصير يسميه كثير من العلماء ذنبًا.

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله -: «.. ولكنه - عليه السلام - ذهب مغاضبًا وأبق عن ربه لذنب من الذنوب التي لم يذكرها الله لنا في كتابه... إلخ». فالشيخ في تفسيره لسورة الأنبياء يؤكد أن يونس عليه السلام ارتكب ذنبًا ويقول كذلك إن هذا الذنب لم يحدّده الله في كتابه، والشيخ - رحمه الله - يقرر كما قرر غيره من المفسرين بوقوع الذنب من يونس، وإن كنت استحيي أن أسميه ذنبًا، بل أرى من الأنسب أن نسميه تقصيرًا (بالنسبة لمقام النبوة)، أما كونه غير محدد في كتاب الله فلست أدري كيف غابت عن الشيخ هذه الحقيقة وهي واضحة في كتاب الله وضوح الشمس، الم يقل ربنا الرحمن الرحيم في كتابه العزيز مخاطبًا نبيه الكريم محمدًا ﷺ: «فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ» بلى قال سبحانه؛ إذن فالحالة التي أمر الله نبيه محمدًا بها قد نهاه عن ضدّها عند صاحب الحوت، وهذه حالة التقصير التي رغب يونس عليه السلام في التوبة منها، وهذا من باب التفاضل في الدرجات بين الأنبياء، والله أعلم.

وهذا هو ما فهمه العلماء وأهل التفسير.

قال الإمام عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره لهذه الآية: «لا تعجل كما عجل ولا تغضب كما غضب».

ونقل الإمام القرطبي عن قتادة في تفسيرها «إن الله يعزِّي نبيه ويأمره بالصبر ولا يعجل كما عجل صاحب الحوت»(٢).

وقال ابن القيم - رحمه الله -: «وَلاَ تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ» أي: في ضعف صبره، وهنا أورد ابن القيم كلامًا قيمًا أحب أن أنقله لعموم فائدته: «أمر الله رسوله أن يصبر صبر أولي العزم من الرسل الذين صبروا لحكمه اختيارًا، وهذا أكمل الصبر؛ ولهذا دارت قصة الشفاعة يوم القيامة على الأنبياء فردوها إلى أفضلهم وخيرهم وأصبرهم لحكم ربه محمد بن عبد الله - صلوات ربي وسلامه عليه وعليهم أجمعين»(٣). اهـ.

الكلمة الرابعة: «فنادى في الظلمات»: وبلاغة الإيجاز في كتاب الله.

وهنا نصل إلى هذه الكلمة الهامة والعظيمة والتي كانت نتيجة طبيعية لاستشعار يونس عليه السلام في حق ربه بضعف صبره وعجلته كما في أسلفنا مقارنة بأولي العزم من الرسل فاحتاج إلى هذه التوبة، ولا سيما عند علمه بتوبة قومه.

ونلاحظ بلاغة الإيجاز القرآني في عرض القصة حين انتقل مباشرة من قوله تعالى: «فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ» إلى قوله: «فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ»، وهنا سكت عما ذكره في موضع آخر: «إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ»، سكت القرآن الكريم عن مرحلة زمنية طويلة وقعت فيها أحداث كثيرة منها خروج يونس عليه السلام من نينوى وقصده ميناء (يافا) ليأخذ سفينة ليتجه بها إلى (ترشيش) وهي طرطوس اليوم على الجانب الآخر من البحر الأبيض المتوسط في بلاد الشام، وسكت عن انتظاره قبل ركوب السفينة وحال ركوبها، وما أصاب البحر والاقتراع ووقوع القرعة عليه، بل مبادرته عليه السلام لإلقاء نفسه في البحر والتقام الحوت له وحين استقرت في الظلمات ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل نادى من هذه الأعماق من لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

وللحديث بقية إن شاء الله.



هل يتشاءم من المرأة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فالمرأة مخلوقة كما أن الرجل مخلوق، خُلق الرجل أولاً، ثم جعل منه زوجته، وقد كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا القليل، وكمال هؤلاء جميعًا بأعمالهم وعبادتهم، والله تعالى يجازي الجميع بعمله، قال تعالى: «لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ» [آل عمران: ١٩٥]، وقال تعالى: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» [النحل]. ويقول سبحانه: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ...»، وهذا شامل للمرأة والرجل، وبعض الناس يظن أن المرأة مخلوق مهان ليس لها كل ما للإنسان؛ من حق تناله، أو عرض يُصان، والبعض يعتبر نقصان عقلها ودينها مدعاة للتنقص من شأنها، والبعض يجعلها محلاً للتشاؤم والتشاجر إذا زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر، وفي هذا المقال نعرف - بعون الله تعالى - هل المرأة محل للتشاؤم حقيقة، ومتى يحدث ذلك، وما علاجه؟

إعداد/ جمال عبدالرحمن

ما يتقى من شؤم المرأة

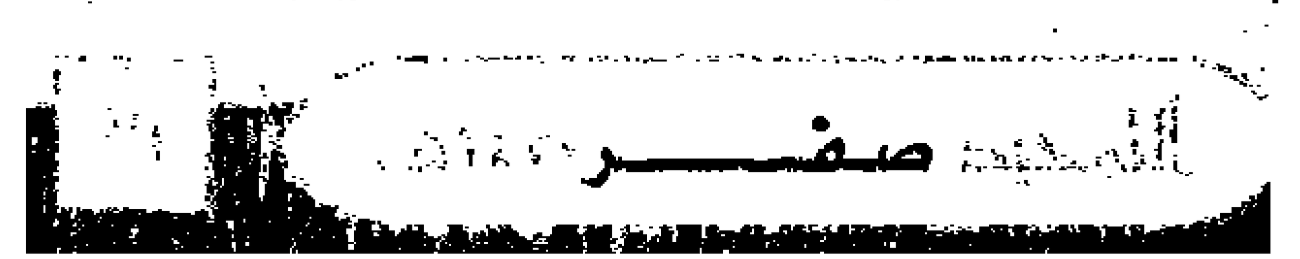
الشؤم ضد اليُمْن، يقال: تشاءمتُ بكذا وتيمنتُ بكذا، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ» [التغابن: ١٤] كأنه يشير إلى اختصاص الشؤم ببعض النساء دون بعض مما دلت عليه الآية من التبعيض، وقد جاء في بعض الأحاديث ما لعله يفسر ذلك وهو ما أخرجه أحمد وصححه ابن حبان والحاكم من حديث سعد مرفوعًا: «من سعادة ابن آدم ثلاثة: المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح، ومن شقاوة ابن آدم ثلاثة: المرأة السوء، والمسكن السوء، ومركب السوء»، وفي رواية لابن حبان «المركب الهني والمسكن الواسع» وفي رواية للحاكم «وثلاثة من الشقاء؛ المرأة تراها فتسوؤك وتحمل لسانها عليك، والدابة تكون قَطُوفًا (بطيئة السير) فإن ضربتها أتعبتك وإن تركتها لم تلحق أصحابك، والدار تكون ضيقة قليلة المرافق».

وللطبراني من حديث أسماء: «أن من شقاء المرء في الدنيا سوء الدار والمرأة والدابة، وفيه: سوء الدار ضيق ساحتها وخبث جيرانها، وسوء الدابة منعها ظهرها وسوء طبعها، وسوء المرأة عقم رحمها وسوء خلقها.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: (الشؤم في المرأة والدار والفرس). البخاري في صحيحه ح٤٨٠٥.

وعنه رضي الله عنه قال: ذكروا الشؤم عند النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: (إن كان الشؤم في شيء ففي الدار والمرأة والفرس) ح٤٨٠٦.

قال النووي رحمه الله: (إن كان الشؤم...) هذه الرواية تبين المراد من الحديث في المرة الأولى. أي أنه إذا وُجد التشاؤم فإنما يوجد في هذه الثلاثة. (الفرس) في جموحها ونفورها أو عدم الغزو عليها. (المرأة) إذا كانت سليطة اللسان أو غير قانعة.



(الدار) إذا كانت ضيقة أو قريبة من جار سوء أو بعيدة عن المسجد.

وفي رواية في أربع فزاد السيف، وقد يكون الشؤم في غيرها أيضا فالحصر فيها كما قال ابن العربي بالنسبة للسعادة لا للخلقة. [فيض القدير للمناوي - (ج ٢ / ص ٧١٠)].

وقال القرطبي: معناها أنها - أي المرأة والدار والفرس - أكثر ما يتشاءم به الناس لملازمتهم إياها، فمن وقع في نفسه شيء من ذلك فله إبداله بغيره مما يسكن له خاطره مع اعتقاده أنه تعالى الفعال، وليس لشيء منها أثر في الوجود، وهذا يجري في كل متطيَّر به، وإنما خص الثلاثة بالذكر لأنه لا بد للإنسان من ملازمتها، فأكثر ما يقع التشاؤم بها.. وفي معنى الدار الدكان والحانوت والخان ونحوها بدليل رواية: إن يكن الشؤم في شيء ففي الربع والخادم والفرس، فيدخل في الربع ما ذُكر، والمرأة تتناول الزوجة والسرية والخادم كما في المفهم. فيض القدير - (ج ٢ / ص ٧١٠).

وعليه فالشؤم محمول على الكراهة التي سببها ما في الأشياء من مخالفة الشرع أو الطبع، كما قيل: شؤم الدار ضيقها وسوء جيرانها، وشؤم المرأة عقمها وسلاطة لسانها، وشؤم الفرس أن لا يغزى عليها. فالشؤم فيها عدم موافقتها له طبعًا أو شرعًا، وقيل: هذا إرشاد من النبي ﷺ لمن له دار يكره سكناها أو امرأة يكره عشرتها أو فرس لا توافقه أن يفارقها بنقلة وطلاق، ودواء ما لا تشتهيه النفس تعجيل بفراق أو بيع. قاله الطيبي، فيض القدير - (ج ٣ / ص ٤٣).

قال ابن عبد البر في التمهيد: وفي إطلاقه ﷺ على الخيل بأن الخير في نواصيها دليل على بركتها وأنها مباركة لا شؤم في شيء منها وقد ثبت عنه عليه السلام أنه قال: «البركة في نواصي الخيل» وثبت أنه قال: «لا طيرة ولا شؤم». (ج ١٤ / ص ٩٨).

والخلاصة أن الإنسان لا يتشاءم من المرأة كمخلوق، وإنما يتشاءم من سلوكها السيئ إذا صاحبه حدث خطير، فلزوجها أن يغير تلك الزوجة إذا شعر منها بالانقباض عند كل حادثة وكارثة، وكذلك يقال في الخيل، ففي نواصيها الخير إلى يوم القيامة، كما بالحديث الشريف، لكن أن تكون المرأة والفرس والدار أصلاً للتشاؤم فهذا الذي يرفضه الشرع، وقد عبر النبي ﷺ عن ذلك فقال ﷺ: «لا طيرة ولا شؤم».

فتنة النساء

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما: عن النبي ﷺ قال:(ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء). متفق عليه.

أي ما تركت سببا للفتنة منهن، وذلك بتكليفهن الرجال من النفقة ما لا يطيقون أحيانًا وبإغرائهن وإمالتهن عن الحق إذا خرجن واختلطن بالرجال، لا سيما إذا كن سافرات متبرجات. وهن في ذلك أضر أي أكثر ضررًا وأشد فسادًا لدينهم ودنياهم.

قال ابن حجر رحمه الله تعالى: قوله ﷺ: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء». قال الشيخ تقي الدين السبكي في سبب إيراد البخاري هذا الحديث عقب حديثي ابن عمر وسهل في التشاؤم بعد ذكر الآية: «إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم» [التغابن: ١٤] إشارة إلى تخصيص الشؤم بمن تحصل منها العداوة والفتنة، وقد أطلق الشارع على من ينسب المطر إلى النوء الكفر فكيف بمن ينسب ما يقع من الشر إلى المرأة مما ليس لها فيه مدخل، وإنما يتفق موافقة قضاء وقدر (أي يوافق مثلاً زواجه بامرأة موت أبيه) فتنفر النفس من ذلك، فمن وقع له ذلك فلا يضره أن يتركها من غير أن يعتقد نسبة الفعل إليها. وفي الحديث أن الفتنة بالنساء أشد من الفتنة بغيرهن، ويشهد له قوله تعالى: «زين للناس حب الشهوات من النساء...» [آل عمران]. فجعلهن من حب الشهوات، وبدأ بهن قبل بقية الأنواع إشارة إلى أنهن الأصل في ذلك، قلت: وكثير من النساء تدفع أزواجهن إلى ما فيه المضرّة، كشغله عن طلب أمور الدين وحمله على التهالك على طلب الدنيا وذلك أشد الفساد وقد قال ﷺ: «واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء». أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد.

وقال المباركفوري: قوله (ما تركت بعدي) أي ما أترك، وعبر بالماضي لتحقق الموت، (فتنة) أي امتحانًا وبلية (أضر على الرجال من النساء) لأن

الطباع كثيرًا تميل إليهن وتقع في الحرام لأجلهن وتسعى للقتال والعداوة بسببهن وأقل ذلك أن ترغبه في الدنيا، وأي فساد أضر من هذا ؟ وإنما قال بعدي لأن كونهن فتنةً أضرّ ظهر بعده.

[تحفة الأحوذي ٨ / ٥٣].

وقال المناوي: وفي قول النبي ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك من فتنة النساء) أي الامتحان بهن والابتلاء بمحبتهن، وإنما يستعاذ من فتنتهن لأنها أضر الفتن وأعظم المحن.

وقوله تعالى: «زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين».. الآية.. إلى قوله:«ذلك متاع الحياة الدنيا» ؛ بدأ في الآية بالنساء لأنهن أشد الأشياء فتنة للرجال، كما بالحديث «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء». قال: ومعنى تزيينها إعجاب الرجل بها وطواعيته لها.

قال ابن عبد البر في التمهيد: الإمام يجب عليه أن يحول بين الرجال والنساء في التأمل والنظر، وفي معنى هذا منع النساء اللواتي لا يؤمن عليهن ومنهن الفتنة من الخروج والمشي في الحواضر والأسواق، وحيث ينظرن إلى الرجال لقوله ﷺ :«ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء».. وفي قول الله عز وجل: «قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ» الآية ما يكفي لمن تدبر كتاب الله ووفق للعمل به.

الحرة تحت العبد

مع عدم وجود العبيد في زمننا هذا لكنني أوردت هذا الباب لما يوجد في الناس مثله، وهو اختلاف الطبقات الدنيوية بينهم، بحيث تترك المرأة الرجل صاحب الدين لأنه أقل منها في درجة دنيوية، والعكس. وفي هذه القصة كانت بريرة ملك يمين (جارية)، فاشترت نفسها فأعتقها أهلها وصارت حرة وزوجها من العبيد، فخيرها النبي ﷺ بين البقاء معه وبين مفارقته، ففارقته.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان في بريرة ثلاث سنن ؛ عُتقت فخُيرت: وقال رسول الله ﷺ (الولاء لمن أعتق). ودخل رسول الله ﷺ وبرمة على النار فقُرِّب إليه خبز وأدم من أدم البيت فقال (ألم أر البرمة ؟). يعني لماذا قدمتم خبزًا وقد رأيت القِدْر الذي به اللحم، فقيل: لحم تصدق به على بريرة وأنت لا تأكل الصدقة. قال: «هو عليها صدقة ولنا هدية». أي هي تملكته بسبب التصدق به عليها ونحن نملكه بسبب إهدائها لنا منه، وعليه فقد اختلف سبب الملك فاختلف الحكم وجاز لنا أكله.

[صحيح البخاري ح٤٨٠٩].

ففي قصتها حدث معها(سنن) أي طرائق وأحكام شرعية استفاد منها الناس جميعا الأولى خيرها رسول الله ﷺ في البقاء عند زوجها بعد أن صارت حرة أو فراقه وفسخ نكاحه.

السُّنة الثانية وهي أنها بسببها أيضًا بين الرسول ﷺ أن من أعتق عبدًا أو اشتراه من مولاه وحرره فإن ولاءه لمن أعتقه وحرره، وهذا يوضحه حديث عائشة رضي الله عنها الآتي عندما اشترت بريرة وهي جارية نفسها بتسع أواق من سيدها وطلبت من عائشة المساعدة في ذلك فوافقتها عائشة على دفع الثمن كله على أن يكون الولاء لعائشة، فلما أخبرت بريرة بسيدها بذلك قالوا لها: ويكون الولاء لنا، فقال النبي ﷺ: «الولاء لمن أعتق». أي: لمن دفع الثمن لعتق الرقبة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءتني بريرة فقالت: كاتبت أهلي على تسع أواق في كل عام أوقية فأعينيني، فقلت إن أحب أهلك أن اعدها لهم ويكون ولاؤك لي فعلت. فذهبت بريرة إلى أهلها فقالت: لهم، فأبوا عليها فجاءت من عندهم ورسول الله ﷺ جالس فقالت إني قد عرضت ذلك عليهم فابوا إلا أن يكون الولاء لهم فسمع النبي ﷺ فأخبرت عائشة النبي ﷺ فقال: (خذيها واشترطي لهم الولاء فإنما الولاء لمن أعتق). ففعلت عائشة ثم قام رسول الله ﷺ في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (أما بعد ما بال رجال يشترطون شروطا ليست في كتاب الله ؟ ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط، قضاء الله أحق وشرط الله أوثق وإنما الولاء لمن أعتق). [صحيح البخاري ح٢٠٦٠].

السنة الثالثة: وهي بيان للمسلمين بأن ما حُرم على الرسول ﷺ على أنه صدقة لا يأكلها يحل له إذا

كانت الصدقة على غيره، ثم أعطى المتصدَّقُ عليه للنبي منها هدية.

وقد ظهر ذلك من الحديث السابق، وفي الجملة فإن بريرة لما صارت حرة وبقي زوجها عبدًا خيرها النبي ﷺ في فراقه أو البقاء، فاختارت فراقه، فأشار إليها النبي ﷺ أن تبقى معه وترجع إليه، فقالت: يا رسول الله، تأمرني ؟ فقال ﷺ: «إنما أنا شافع». فقالت: لا حاجة لي به.

وقولها للنبي ﷺ: تأمرني يا رسول الله. لها معنى عظيم، ليت المسلمين يعون هذا المعنى، فإن بريرة تعلم أن أمر رسول الله ﷺ لا خيار فيه ؛ لقول الله تعالى: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ» [الأحزاب: ٣٦]، فهي تفهم وتعي أن أمر النبي ﷺ على الوجوب وليس للاختيار، ولذلك رفع النبي ﷺ عنها الحرج بقوله: إنما أنا شافع، فليت المسلمين إذا سمعوا أمر الله ورسوله امتثلوا للأمر.

امرأة تسبق الرجال إلى الجهاد والاستشهاد

قال رسول الله ﷺ: «من سأل الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه». [مسلم وغيره].

لقد كانت أم ورقة تحب الجهاد، وتشتهي الشهادة في سبيل الله، فلما علمت أن النبي ﷺ قد ندب أصحابه للخروج في غزوة بدر فما كان منها إلا أن أسرعت نحو النبي ﷺ تستأذنه في أن تخرج معه لتداوي الجرحى طمعًا منها في أن يرزقها الله الشهادة في سبيله، فما كان من النبي ﷺ إلا أن طلب منها أن تجلس في بيتها، وبشرها بأن الله سيرزقها الشهادة وهي في بيتها، فعن أم ورقة أن النبي ﷺ لما غزا بدرًا قالت: قلت: يا رسول الله، ائذن لي في الغزو معك أمرض مرضاكم لعل الله يرزقني شهادة، قال: قري في بيتك فإن الله تعالى يرزقك الشهادة، قالت: فكانت تسمى الشهيدة وعادت تلكم العابدة الزاهدة التقية إلى بيتها طاعة لأمر رسول الله ﷺ، وعادت تنظر الشهادة التي بشرها بها رسول الله ﷺ، وعلم الناس بتلك البشارة التي بشرها بها رسول الله ﷺ، حتى كان الحبيب ﷺ إذا أراد أن يزورها يصطحب معه ثلة من أصحابه الكرام ويقول لهم: «انطلقوا بنا نزور الشهيدة».

ولما توفي الحبيب ﷺ حزنت عليه أم ورقة حزنًا كاد أن يمزق قلبها، ولكنها بقيت على العهد عابدة زاهدة قائمة صائمة، ومازالت تذكر بشارة الحبيب ﷺ لها بأن الله سيرزقها الشهادة، ولقد مات رسول الله ﷺ وهو راضٍ عنها، فلم يبق لها إلا الشهادة لتكتمل فرحتها وسعادتها في الدارين، وتأتي اللحظة المناسبة التي قدر الله لها فيها الشهادة، فلقد كانت أم ورقة تنتظرها بشوق ولهفة، وكانت ليس معها أحد في بيتها إلا غلام وجارية يخدمانها ويعيشان معها، وعدتهما بالحرية بعد موتها فتعجلا عليها، فدبرا ذات ليلة جريمة قتلها فماتت شهيدة الظلم والبغي والغدر كما تنبأ لها الرسول ﷺ، وفرا هاربين، ولكن إلى أين، فقد قبض عليهما وأعيدا إلى المدينة حيث لقيا جزاء ما جنت أيديهما، فقُتلا وصُلبا ليكونا عبرة لمن يعتبر، وعم المدينة حزنًا شديدًا على أم ورقة. قال أبو داود: وكانت قد قرأت القرآن فاستأذنت النبي ﷺ أن تتخذ في دارها مؤذنًا فأذن لها، وكانت دبرت غلامًا وجارية فقاما إليها وقتلاها بعد أن غماها بقطيفة حتى ماتت وهربا، فأصبح عمر فقام في الناس فقال: من كان عنده من هذين علم أو من رآهما فليجيء بهما، فأمر بهما فصُلبا، فكانا أول مصلوب بالمدينة. [أبو داود، وحسنه الألباني].

وهكذا رحلت العابدة الزاهدة عن دنيا الناس وفازت بالشهادة التي بشرها بها رسول الله ﷺ، فمن من المؤمنين والمؤمنات يسابق هذه الصالحة إلى الجنة ؟

والحمد لله رب العالمين.

فتاوى

تجيب عليها لجنة الفتوى بالمركز العام

أسماء الله عز وجل وصفاته

يسأل السائل: محمد علوان - منيا القمح - شرقية - يقول:

كيف نفسر وضع النبي ﷺ إبهامه وسبابته على عينه وأذنه وهو يتلو قول الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا» [النساء: ٥٨]، كما ورد بحديث الترمذي، حتى لا يفهم البعض أننا نشبه الله بخلقه في مثل هذا الحديث ؟

وفي مثل هذا المعنى الوارد بالسؤال : يسأل محمد محمود خلف من بطا - بنها قليوبية يقول: عندنا خطيب يخطب الجمعة، وحينما يذكر حديث النبي ﷺ: «القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن» يشير بإصبعيه السبابة والوسطى، فهل يجوز فعل مثل هذه الإشارات عند الحديث عن صفات الله تعالى ؟

والجواب بحول الملك الوهاب: ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتابه «العقيدة الأصفهانية» قوله: في السنن أن النبي ﷺ قرأ على المنبر: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا» [النساء: ٥٨]، ووضع إبهامه على أذنه، وسبابته على عينه، ولا ريب أن مقصوده بذلك تحقيق الصفة، لا تمثيل الخالق بالمخلوق. انتهى. ومعنى تحقيق الصفة أي: أن النبي ﷺ وضع إبهامه على أذنه والسبابة على عينه لإثبات أن الله سبحانه يسمع بسمع حقيقة، ويرى ببصر حقيقة لا مجازًا، مع الأخذ في الاعتبار أنه «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» [الشورى: ١١].

وأورد الإمام أبو داود هذا الحديث في سننه، ثم علق عليه بقوله: وهذا رد على الجهمية الذين لا يثبتون لله تعالى اسمًا ولا صفة مما سمى ووصف نفسه تعالى به وأثبته له رسوله ﷺ فرارًا - بزعمهم - من التشبيه بالمخلوقين، فشبهوه بذلك بالأصنام التي لا تسمع ولا تبصر.

وقال البيهقي في «الأسماء والصفات»: المراد بالإشارة في هذا الخبر تحقيق الوصف لله عز وجل بالسمع والبصر، فأشار إلى محليّ السمع والبصر منا لإثبات صفة السمع والبصر لله تعالى كما يقال: قبض فلان على مال فلان ويشار باليد على معنى أنه حاز ماله. انتهى.

وقد فعل النبي ﷺ ذلك مرات عديدة كإشارته بيده إلى عينه وهو يقول: «إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور». وكذلك جعل النبي ﷺ يقبض يديه ويبسطهما لما ذكر أن الله تعالى يأخذ السماوات بيديه ويقبض يديه ويبسطهما ويقول: أنا الملك. ومعلوم ضرورة أن النبي ﷺ لم يُرد أن يشبه القبض والبسط من الله تعالى مثل قبضه وبسطه ﷺ وهو الذي بلغ عن ربه أنه «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» [الشورى: ١١]، وإنما أراد بيان أن الله تعالى يقبض يديه ويبسطهما حقيقة.

لكن ؛ هل للإنسان أن يشير هذه الإشارات كما فعل رسول الله ﷺ ؟ قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في شرح العقيدة الواسطية: من العلماء مَن قال: نعم، افعل كما فعل رسول الله ﷺ، ومنهم من قال: لا حاجة لنا إلى أن نفعل ما دمنا نعلم أن المقصود هو تحقيق الصفة وإثباتها، فهذه الإشارة هنا غير مقصودة بذاتها، إنما هي مقصودة لغيرها، وحيئنذ لا حاجة لنا أن نشير، لا سيما إذا كان يُخشى من هذه الإشارة توهم الإنسان التمثيل والتشبيه، كما لو كان أمامك عامّة من الناس لا يفهمون الشيء على غير ما ينبغي، فهذا ينبغي التحرز منه، ولكل مقام مقال. انتهى.

فالإشارة وعدمها يكون بحسب ما يترتب عليه من فهم السامع إذا كان من عامة الناس أو من طلبة العلم.

ظل العرش

يسأل سائل يقول: كثيراً ما يفسر بعض العلماء حديث: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» بظل العرش؛ مع أن لفظ الحديث ذكرها على العموم «في ظله»، ولم يحدد أنه ظل العرش، ألا يعتبر ذلك تأويلاً لظاهر الحديث، أرجو الإفادة؟

الجواب: **نعم إذا لم يأت بيان لمصدر الظل الذي أضافه الله تعالى إلى نفسه إضافة تشريف لا ينبغي تأويله إلا بتوقيف من الشرع، لكن قد ورد جمع من الأحاديث أتى فيها ذكر ظل العرش، كقوله ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظل عرشه...» رواه سعيد بن منصور بإسناد حسن، وقوله: «من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله يوم القيامة في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله».** [الترمذي: صحيح]. **وقوله: «المتحابون في الله يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله». [صحيح عن معاذ بن جبل]. وقوله: «من نَفَّسَ عن غريمه أو محى عنه كان في ظل العرش يوم القيامة».** [البغوي في شرح السنة، وقال: حديث حسن]. **وقوله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش...»** [أبو داود: حسن].

أرض المحشر

يسأل سائل: هل أرض المحشر بعد قيام العباد من قبورهم تكون في الأرض وبالأخص أرض فلسطين؟

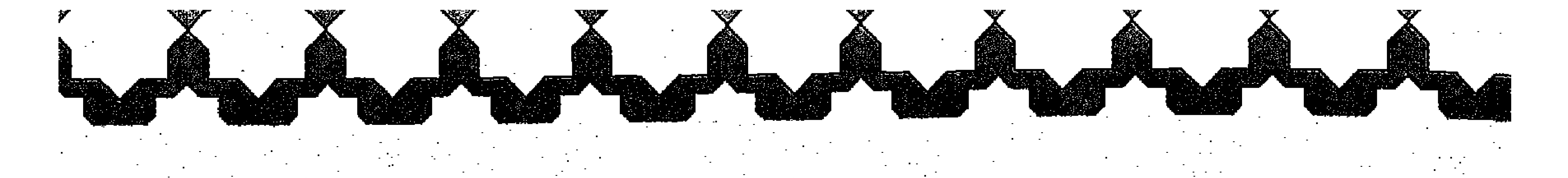
الجواب: **ورد في حديث ميمونة بنت سعد مولاة النبي ﷺ لما قالت: يا نبي الله؛ أفتنا في بيت المقدس؟ فقال ﷺ: «أرض المحشر والمنشر».** [صححه الألباني في فضائل الشام].

يعني أن موقع أرض الشام الآن يكون مكاناً يحشر فيه الناس يوم القيامة، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: من شك في أن أرض المحشر هاهنا - يعني الشام - فليقرأ هذه الآية: «هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ» [الحشر: ٢]. (أضواء البيان، للشنقيطي).

دخول الخلاء بالمحمول

يسأل سائل عن الحكم الشرعي في دخول الخلاء بالمحمول المسجل عليه آيات من القرآن الكريم؟

الجواب: **لا حرج في ذلك؛ لأن القرآن المسجل على المحمول لا يأخذ حكم المصحف المطبوع، لكن ننبه على النغمات التي على أجهزة المحمول والتي تكون عبارة عن آيات من القرآن أو أدعية وأذكار، فينبغي لمن دخل الخلاء أن يغلق جهاز المحمول حتى يخرج أو يتركه خارج الخلاء، لأنه لا يليق أبداً أن يكون تكبير أو دعاء أو تلاوة قرآن، أو نحو ذلك والمرء جالس يقضي حاجته، والأسلم في ذلك كله استخدام رنين الجرس المعروف رفعًا للحرج. والله أعلم.**



عدة المعقود عليها وميراثها

يسأل س. ع. أ. من المنوفية بقويسنا يقول:

إن له أختًا كان عقد عليها ومات عنها زوجها قبل الدخول بها، وله إحدى قريباته طلقها زوجها قبل الدخول بها أيضًا، فما عدة كل منهما ؟ وهل أخته ترث زوجها الميت هذا ؟

الجواب: **لا عدة للمرأة المعقود عليها إذا طلقها زوجها قبل الدخول بها، لقول الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا» [الأحزاب: ٤٩]، أما عدة المتوفى عنها وإن لم يدخل بها فهي أربعة أشهر وعشرة أيام ؛ لقول الله تعالى: «وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا» [البقرة: ٢٣٤]، ولها الميراث الربع من زوجها ؛ لقول الله تعالى: «وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ» [النساء: ١٢]، والله أعلم.**

صلاة الغائب

يسأل: م. ع. أ. من الجيزة يقول: هل يجوز الصلاة على قريب لنا مات في أمريكا ولم يصل عليه هناك إلا رجلين أو ثلاثة ؟

الجواب: **صلاة الغائب محل خلاف بين العلماء، فمنهم من يقول: يُصلى على كل ميت غائب احتجاجًا بفعل الرسول ﷺ حيث إنه صلى على النجاشي وهو غائب، وبهذا قال الشافعي وأحمد في رواية عنه، أما الأحناف والمالكية فقالوا: صلاة الغائب غير مشروعة مطلقًا، وما فعله النبي ﷺ من صلاته على النجاشي فخاصٌ به.**

وقد توسط جماعة من أهل العلم في هذه المسألة فقالوا: صلاة الغائب مشروعة في حق المسلم إذا مات ولم يصل عليه أحد من المسلمين، وأما إذا صلى عليه فلا تشرع صلاة الغائب.

وقد اختار هذا القول أبو داود صاحب السنن والإمام الخطابي في معالم السنن، وبعض الشافعية، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، ومن المحدثين الشيخ الألباني، وهذا رأي وجيه وفقه حسن، وعلى هذا إذا مات مسلم ببلد من البلدان وقد قُضيَ حقه في الصلاة أن يصلَّى عليه، فإنه لا يصلي عليه من كان ببلد آخر غائبًا، فإن علم أنه لم يصلَّ عليه لعائق أو مانع كانت السنة أن يصلى عليه، ولا يُترك ذلك لبعد المسافة.

●□●

الهبة والإرث

السؤال: نحن ثلاثة إخوة، يمتلك والدنا قطعة أرض، باع جزءًا منها لتزويج أخينا الأكبر، وبنى الوالد بيتًا لنا بالمبلغ المتبقي من قيمة قطعة الأرض، وعشنا في البيت حتى توفي والدنا، ثم سافر أخي الأكبر إلى السعودية بعد أن قسمنا قيمة المنزل الموروث عن أبينا بيننا بالقسمة الشرعية، لكننا الآن نطلب من أخينا تعويضنا عن قيمة زواجه بثمن الأرض التي باعها الوالد من أجله، وهو يرفض، وأعطانا شيئًا كما قال على سبيل الصلة والمساعدة، ويقول: ليس لكم حق عندي، فما حكم ذلك؟

الجواب: الوالد- أي والد - له أن يساعد أولاده في زواجهم واستقرار حياتهم، كل على حسب حاجته، وليس من تزوج بألف أن يطلب فرقًا وتعويضًا لأن غيره تزوج بألفين، وما دام أن الأب شرع في مساعدة أولاده واحدًا بعد الآخر وحال الموت بينه وبين إتمام ذلك، فليس لهم أن يطلب بعضهم من بعض فروقًا أو تعويضًا عن اختلاف أحوال الإنفاق عليهم، والذي يثبت لهم فقط هو الميراث من التركة التي تركها أبوهم، وإن قام من فاز بمساعدة أبيه إياه في زواجه بصلة إخوانه ومساعدتهم إن كان يمتلك القدرة على ذلك فهذا شيء عظيم، قال الله في مثله: «وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ»، لكن لا يُفرض عليه شيء، وليس هناك مبرر لأن يحمل عليه بعض إخوانه في نفوسهم، أو يطالبونه بشيء كحق لهم، والله تعالى الهادي إلى سواء السبيل.

مصطلحات اعتقادية

ويسأل: محمود أحمد الشوربجي بدير - من المنصور - طلخا:

عن لفظ: «لا قدر الله» هل يجوز القول به؟ وكذلك قول: «البركة فيك وفي ربنا»، أو العكس؟

الجواب: قول: «لا قدر الله» هذا اللفظ ظاهرهُ ومعناه لا شيء فيه، فهو دعاء بألا يوقع الله شيئًا ما، وقد كان الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي يتحدث به، وكذلك الشيخ ابن عثيمين - رحم الله الجميع - ذكر أنه لا بأس به، لأنه نفي بمعنى الطلب، وهو كثير في اللغة العربية، لكن لفظ: «البركة فيك وفي ربنا»، أو: «البركة في ربنا وفيك». فهذه من الكلمات الخاطئ قائلها خطأً شنيعًا يدل على جهله، لأنه قد جمع بين الخالق والمخلوق في شيء لا يجوز جمعه بهذا الشكل، مثلما قال أحد الناس لرسول الله ﷺ: «ما شاء الله وشئت». فقال له النبي ﷺ: «أجعلتني لله ندًا، ما شاء الله وحده». وعلَّم أصحابه ألا يقولوا ذلك، فقال: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان». وقد عد العلماء ذلك من الشرك الأصغر الذي هو كبيرة من الكبائر لا تخرج قائلها عن الملة لكنه يرتكب إثمًا عظيمًا.

والبركة تكون من الله في عباده ومخلوقاته، كما قال تعالى عن الأرض: «وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا» [فصلت]، وفي الحديث: «اللهم بارك لنا فيما رزقتنا». ويصح إضافة لفظ البركة إلى الإنسان إذا كان أهلاً لذلك، وتكون بمعنى: بركته التي أعطاه الله إياها، لا أنه فيه بركة بذاته، كقول أسيد بن حضير حين نزلت آية التيمم بسبب عقد عائشة رضي الله عنها الذي ضاع منها: «ما هذه بأول بركتكم يا آل أبي بكر». متفق عليه. والله أعلم.

قصة مفتراه على الصحابي الجليل «سعيد بن عامر»



إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الخطباء والوعاظ والقصاص ويوردها الكثير من القصاص عندما يكتبون عن الصحابة، بل يصل الأمر بهم إلى دعوة الناس للأخذ بهذه القصص ولا يدرون أنها واهية، بل وصل الحد بأحدهم أن يقدم لهذه القصة بعنوان «رسالة عاجلة إلى حكام المسلمين»، «شامة في جبين التاريخ وتجارة رابحة مع الله»، وإن تعجب فعجب أن يدعو حكام المسلمين في رسالة عاجلة إلى تجارة رابحة مع الله، بأربعة أمور:

١- أن لا يخرج أحدهم إلى الرعية حتى يتعالى النهار.

٢- لا يجيب أحدًا من الرعية بليل.

٣- له يوم في الشهر لا يخرج فيه إلى الرعية.

٤- تأخذه الغشية - الإغماء - بين الحين والحين.

حيث ذكر في القصة أن هذا حال الصحابي الجليل سعيد بن عامر حين جعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه واليًا على حمص.

ولا يهمنا ذكر اسم هذا القصاص ولا اسم كتابه؛ لأننا نقدم للقارئ الكريم بحوثًا علمية حديثية تبين حقيقة هذه القصص الواهية بالتخريج والتحقيق سواء ذكرها هو أو غيره، وهذا هو المنهج الذي نسلكه في هذه السلسلة «تحذير الداعية من القصص الواهية»، وعودنا القارئ الكريم عليه، سائلين الله التوفيق في التخريج والتحقيق:

أولاً: متن القصة

يُرْوَى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه استعمل على أهل حمص سعيد بن عامر بن جذيم الجمحي، فلما قدم عمر بن الخطاب حمص، قال: يا أهل حمص، كيف وجدتم عاملكم ؟ فشكوه إليه - وكان يقال لأهل حمص الكويفة الصغرى لشكايتهم العمال - قالوا: نشكو أربعًا: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار، قال: أعظم بها، قال: وماذا ؟ قالوا: لا يجيب أحدًا بليل، قال: وعظيمة، قال: وماذا؟ قالوا: وله يوم في الشهر لا يخرج إلينا فيه. قال: وعظيمة، قال: وماذا ؟ قالوا يغتط الغطة

بين الأيام أي تأخذه المؤتة، قال: فجمع عمر بينهم وبينه، وقال: اللهم لا تُفَيِّل رأيي فيه اليوم، ما تشكون منه ؟ قالوا: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار، قال: والله إن كنت لأكره ذكره، ليس لأهلي خادم فأعجن عجيني ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزي ثم أتوضأ ثم أخرج إليهم.

قال: ما تشكون منه ؟ قالوا: لا يجيب أحدًا بالليل.

قال: ما يقولون، قال: إن كنت لأكره ذكره، إني جعلت النهار لهم والليل لله عز وجل.

قال: وما تشكون منه ؟ قالوا: يوم في الشهر لا يخرج إلينا فيه.

قال: ما يقولون، قال: ليس لي خادم يغسل ثوبي ولا لي ثياب أبدلها، فاجلس حتى يجف ثم أدلكها ثم أخرج إليهم من آخر النهار.

قال: ما تشكون منه ؟ قالوا: يغتط الغطة من الأيام، قال: ما يقولون.

قال: شهدت مصرع حبيب الأنصاري بمكة وقد بضعت قريش لحمه ثم حملوه على خشبة فقالوا: أتحب أن محمدًا مكانك. قال: والله ما أحب أني في أهلي وأن محمدًا شيك بشوكة، ثم نادى: يا محمد، فما ذكرت ذلك اليوم وتركي نصرته إلا ظننت أن الله لا يغفر لي ذلك الذنب أبدًا. قال: فتصيبني تلك الغطة.

فقال عمر: الحمد لله الذي لم يفيِّل فراستي فبعث إليه بألف دينار.

فقال: استعن بها على أمرك، فقالت امرأته: الحمد لله الذي أغنانا عن خدمتك. فقال لها: هل أدلك على خير من ذلك ندفعها إلى من يأتينا بها أحوج ما نكون إليها، فقالت: نعم. فدعا رجلاً من أهله يثق به فصرها صررًا، ثم قال: انطلق بهذه إلى أرملة آل فلان، وإلى يتيم آل فلان، وإلى مسكين آل فلان، وإلى مبتلى آل فلان، فبقيت منها ذهبية، فقال: أنفقي هذه، ثم عاد إلى عمله، فقالت امرأته: ألا تشتري لنا خادمًا، ما فعل ذلك المال ؟ قال: سيأتيك أحوج ما تكونين إليه.

ثانيا: التخريج

هذه القصة الواهية أخرج خبرها أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١ / ٢٤٥) قال: «حدثنا محمد بن عبد الله، حدثنا الحسن بن علي بن نصر الطوسي، حدثنا محمد بن عبد الكريم العبدي، حدثنا الهيثم بن عدي، حدثنا ثور بن يزيد، حدثنا خالد بن معدان، قال: استعمل علينا عمر بن الخطاب بحمص سعيد ابن عامر بن جذيم الجُمَحي». القصة.

وأوردها موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي في كتابه «الرِّقّةُ والبكاء». ح (١٧٥)، وعزاه لأبي نعيم ناقلاً السند الذي أوردناه آنفًا.

ثالثا: التحقيق

هذه القصة واهية وفيها علتان:

الأولى: سقط في الإسناد، حيث إن خالد ابن معدان بن أبي كرب الكلاعي أبو عبد الله الشامي الحمصي لم يدرك عمر بن الخطاب، حيث قال الإمام الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (١ /٩٣) ترجمة (٨٤): «خالد بن معدان أرسل عن معاذ بن جبل والكبار»، ثم نقل عن الهيثم والمدائني وجماعة أنهم قالوا: «مات خالد بن معدان سنة ثلاث ومائة وهو أحد الأثبات غير أنه يدلس ويرسل حديثه». اهـ.

وبيَّن ذلك الإمام ابن أبي حاتم في كتابه «المراسيل» ترجمة (٧١) خالد بن معدان لم

يسمع من أبي الدرداء ولم يصح سماعه من عبادة بن الصامت حيث قال: سمعت أبي يقول:

١- خالد بن معدان لم يصح سماعه من عبادة بن الصامت.

٢- خالد بن معدان (عن) معاذ بن جبل مرسل لم يسمع منه وربما كان بينهما اثنان.

٣- خالد بن معدان (عن) أبي عبيدة بن الجراح مرسل.

٤- خالد بن معدان لم يلق عائشة. اهـ.

قلت: وبهذا يتبين قول الإمام الذهبي في خالد بن معدان أنه «أرسل عن معاذ بن جبل والكبار».

وبهذا التحليل والتحقيق يتبين أن خالد ابن معدان لم يدرك عمر فالإسناد منقطع.

العلة الأخرى: الطعن في الراوي:

الهيثم بن عدي أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٤ / ٣٢٤ / ٩٣١١) حيث قال: «الهيثم ابن عدي الطائي أبو عبد الرحمن المنيحي ثم الكوفي»، ثم أورد أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه:

١- قال الإمام البخاري: ليس بثقة كذاب.

٢- وقال يحيى بن معين: ليس بثقة كان يكذب.

٣- وقال أبو داود: كذاب.

٤- وقال النسائي: متروك الحديث.

٥- وقال ابن عدي: هو صاحب أخبار ما أقل ما له من المسند.

٦- وقال ابن المديني: لا أرضاه في شيء. اهـ.

قلت: بهذا التحقيق يتبين أن القصة واهية موضوعة بما فيها من سقط في الإسناد وطعن في الراوي بالكذب وعلامات الوضع ظاهرة على المتن حيث جعلت الصحابي الجليل سعيد بن عامر الذي استرعاه الله رعية حمص لم يؤد حق الولاية ويتأخر كل يوم حتى يتعالى النهار لأنه كان يعجن العجين ثم يجلس حتى يختمر ثم يخبز الخبز ثم بعد هذا كله يخرج إلى الرعية، ومن علامات الوضع أيضًا أن الصحابي سعيد بن عامر والي حمص ليس عنده غير ثوب واحد يظل عليه شهرًا كاملاً يخرج به إلى الرعية، ثم جعل يومًا في الشهر لا يخرج فيه إلى الرعية حيث يغسل هذا الثوب بنفسه وينتظر حتى يجف ثم يخرج إليهم من آخر النهار ومهما حاول بعض المتصوفة تأويل هذه الأفعال فالقصة من أساسها باطلة سندها تالفٌ بالسقط في الإسناد والطعن في الراوي بالكذب كما هو ظاهر من أقوال أئمة الجرح والتعديل التي أوردناها آنفًا.

فأصحاب رسول الله ﷺ والتابعون وأتباع التابعين يعرفون تمام المعرفة آداب مجالس القضاء وآداب مجالس العلم. وفي اختصار علوم الحديث، النوع السابع والعشرون في آداب المحدث، قال الحافظ ابن كثير ناقلاً أقوال الأئمة: «لا ينبغي عقد مجلس التحديث وليكن المسمع على أكمل الهيئات كما كان مالك رحمه الله إذا حضر مجلس التحديث يتوضأ وربما اغتسل وتطيب ولبس أحسن ثيابه وعلاه الوقار والهيبة وتمكن في جلوسه». اهـ.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء



أثر السياق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد:

تكلمنا في الحلقة السابقة عن أهمية السياق وأثره في فهم النص، ودللنا على ذلك بالأمثلة، وذكرنا أن السياق هو القرائن المحيطة بالنص، وهذه القرائن تنقسم إلى قسمين: قرائن لفظية، وقرائن غير لفظية (حالية)، ثم بينا القرائن اللفظية بقسميها المتصلة والمنفصلة، ونستأنف البحث - إن شاء الله تعالى-:

ثانياً: القرائن غير اللفظية (الحالية)

وهي ما يسمَّى بسياق الحال أو المقام، وهي جميع ما يحيط بالنص من ظروف وملابسات، وهذا يشمل حال المتكلم والمستمع والغرض من الكلام، ويشمل أيضًا أسباب النزول بالنسبة للقرآن، وأسباب الورود بالنسبة للحديث. يقول ابن تيمية:... والحال حال المتكلم والمستمع لابد من اعتباره في جميع الكلام. (الفتاوى ٧ / ١١٤).

- ويضرب الأصوليون لقرائن الأحوال أمثلة تفيد في تقريبها إلى الذهن، ومن ذلك أحوال المتكلم وعاداته ومقاصده وحركات بدنه وتغيرات وجهه وعينيه وهيئته بكاملها من تقطيبٍ وخجل ووجل وغضب وتهَلُّلٍ وبشر وحركات رأسه المقارنة لكلامه، والمعينة على قوة بيانه وإرادته من كلامه.

- وتجدر الإشارة إلى أنه ليس كل كلام يحتاج في فهم معناه إلى قرائن حالية، وإنما الأمر يختلف باختلاف الكلام، وذلك أن الكلام إذا كان مفيداً لمعناه إفادة تامة فلا يحتاج إلى البحث في القرائن الحالية. (السياق وأثره: د. عبد المجيد السوسوة).

أهمية القرائن الحالية

القرائن الحالية لها فوائد كثيرة، كما سنرى:

١- من الفوائد في نزول القرآن منجمًا انضمام القرائن الحالية إلى الدلالات اللفظية، يقول الألوسي: في تفسير قوله تعالى: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً» [الفرقان: ٣٢].

فذكر فوائد نزول القرآن منجمًا، ومن هذه الفوائد، قال:... انضمام القرائن الحالية إلى الدلالات اللفظية فإنه يعين على معرفة البلاغة، لأنه بالنظر إلى الحال ينتبه السامع لما يطابقها ويوافقها، إلى غير ذلك... (روح المعاني ١٤ / ٨٨).

وكمثال لذلك، لما نزلت آية الصدقة، كما يقول ابن مسعود، رضي الله عنه، كنا نحامل، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير، فقالوا: مراءٍ، وجاء رجل فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله لغني عن صاع هذا، فنزلت: «الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ» [التوبة: ٧٩]. (متفق عليه).

فبضم القرينة الحالية (وهي ما حدث من قولهم في غمز المتصدقين) إلى الآية، يتضح النص ولا يُنسى من ذهن المتلقي.

٢- ترجيح معنى على آخر بضميمة القرائن الحالية، كما في تفسير قوله: «وَقَالُوا قُلُوبُنَا

في فهم النص

الحلقة الثانية

إعداد/ متولي البراجيلي

غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ» [البقرة: ٨٨]، فهل «ما» هنا مصدرية، أو زائدة لتوكيد القلة، وهل المراد بالقلة العدم، أو هي على ظاهرها ؟ المعنى الأول أقرب، لأن الظاهر من حالهم عدم الإيمان بالكلية، ولا يمنع أن يُراد بالقلة العدم، إذا دلّت عليه القرائن الحالية، أو اللفظية. (تفسير ابن عثيمين ٣ / ٢٠٩).

٣- ومن أسباب علو فهم الصحابة للقرآن، وقوفهم على القرائن الحالية، فالإمام الشاطبي أرجع نبوغ الصحابة في تفسير القرآن لأمرين:

أحدهما: معرفتهم باللسان العربي، فإنهم عرب فصحاء لم تتغير ألسنتهم...

والثاني: مباشرتهم للوقائع والنوازل وتنزيل الوحي بالكتاب والسنة، فهم أقعد في فهم القرائن الحالية وأعرف بأسباب التنزيل، ويدركون ما لا يدركه غيرهم بسبب ذلك، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب...

(الموافقات ٣ / ٣٣٨).

٤- وتستخدم القرائن الحالية في تخصيص الخطاب، يقول إمام الحرمين الجويني في البرهان: فنقول: القرائن تنقسم إلى قرائن حالية وإلى قرائن لفظية، فأما القرائن الحالية فكقول القائل: رأيت الناس وأخذت فتوى العلماء، ونحن نعلم أن حاله لا يحتمل رؤية الناس أجمعين ومراجعة جميع العلماء، فهذه القرينة وما في معناها تتضمن تخصيص الصيغة.

(١ / ٢٥٣).

٥- استخدام القرائن الحالية إلى جانب القرائن اللفظية لتوضيح المعنى المراد، كما فعل الصحابة رضي الله عنهم، عندما تُوفي رسول الله ﷺ ولم يحدد الخليفة من بعده صراحة، فإن الصحابة وعلى رأسهم عمر رضي الله عنه استخدموا القرائن الحالية في أحقية أبي بكر بالخلافة، كاستخلاف النبي ﷺ له في الصلاة، لما ذهب النبي ﷺ ليصلح بين بني عمرو بن عوف بقباء، وكذلك استخلافه للصلاة في مرض موته، فارتضاه النبي ﷺ لدينهم، أفلا يرضونه لدنياهم.

٦- وللقرائن الحالية أهمية بالغة عند المفتي ومن يتعرض للفتوى، يقول ابن القيم في «الطرق الحكمية»: فالحاكم (المفتي) إذا لم يكن فقيه النفس في الأمارات ودلائل الحال ومعرفة شواهده، وفي القرائن الحالية والمقالية، كفقهه في كليات الأحكام، أضاع حقوقًا كثيرة على أصحابها، وحكم بما يعلم الناس بطلانه، لا يشكّون فيه اعتمادًا منه على نوع ظاهر لم يلتفت إلى باطنه وقرائن أحواله.

(الطرق الحكمية ١ / ٤).

فهنا نوعان من الفقه لابد للمفتي منهما:

فقه في أحكام الحوادث الكلية، وفقه في نفس الواقع وأحوال الناس، يميز بين الصادق والكاذب والمحق والمبطل، ثم يطابق هذا وهذا.

٧- وتعين القرائن الحالية في فهم الأوامر والنواهي، يقول الشاطبي: الطريق السليم لفهم المقصود الشرعي من الأوامر والنواهي، يكون بالنظر في أمور ثلاثة:

الأول: استقراء ما ورد في المسألة: موضوع الأوامر أو النواهي من النصوص.

الثاني: النظر في القرائن الحالية والمقالية (اللفظية) المصاحبة للأوامر والنواهي.

الثالث: محاولة استخلاص علة ذلك الأمر أو النهي إن وجدت.

٨- وتستخدم القرائن الحالية في بعض الصور المعاصرة، والتي قد تكون أقوى حتى من شهادة الشهود، كإثبات الجريمة بواسطة البصمات والصوت والصورة... إلخ.

- والقرائن الحالية (غير اللفظية) تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: القرائن الحالية المتصلة بالخطاب

وهو أن يذكر الراوي ضمن روايته بعض القرائن الحالية التي صاحبت الخطاب، والتي يراها مهمة في تحديد المراد من النص، ويتضح ذلك من الأمثلة التالية:

المثال الأول

أخرج البخاري - رحمه الله - في كتاب الطلاق في صحيحه: باب الإشارة في الطلاق والأمور، عدة أحاديث، منها حديث ابن عمر رضي الله عنهما: قال النبي ﷺ: «لا يعذب الله بدمع العين، ولكن يعذب بهذا»، فأشار إلى لسانه.

- ففي الحديث استخدم النبي ﷺ الإشارة إلى لسانه ليوضّح المعنى المراد للسامع، ويكون أوقع للرائي، وقد كان الصحابة - رضي الله عنهم - ومن تبعهم من الرواة حريصين أشد الحرص على نقل حديث النبي ﷺ بما فيه من قرائن محيطة به، تساهم في فهم النص فهمًا واضحًا كما أراد النبي ﷺ.

المثال الثاني

عن زينب بنت جحش - رضي الله عنها -: أن النبي ﷺ دخل عليها فزعًا يقول: لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه» - وحلّق بإصبعه الإبهام والتي تليها -، قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال: «نعم، إذا كثر الخبث».

(صحيح البخاري: ٣٣٤٦).

ففي الحديث بيّنت زينب رضي الله عنها عدة قرائن حالية، صوّرت لنا الحالة التي كان فيها النبي ﷺ عند دخوله عليها، فقد دخل ﷺ فزعًا، وفي رواية سفيان بن عيينة عند البخاري، قالت: استيقظ النبي ﷺ من النوم محمرًا وجهه يقول: ويل للعرب.. وجمع بين الروايتين أبو عوانة بسنده عن الزهري: «فزعًا محمرًا وجهه».

- وقرينة حالية أخرى بينتها أمنا زينب رضي الله عنها، وهي عقد النبي ﷺ بأصبعه وإبهامه، وفي رواية سفيان قالت: وعقد تسعين (أي بأصابعه).

- وكان الرواة للحديث إذا رووه، يعقد الواحد منهم تسعين، كما فعل النبي ﷺ ونقلت ذلك عنه زوجه زينب رضي الله عنها.

المثال الثالث

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: الفتنة من هاهنا، وأشار إلى المشرق. (صحيح البخاري: ٥٢٩٦).

فلو أن ابن عمر رضي الله عنهما اكتفى بقول النبي ﷺ فقط، ولم ينقل إلينا إشارته ﷺ ناحية المشرق - وهذا من قرائن الأحوال - ما كنا فهمنا حديث النبي ﷺ ولاختلط علينا الأمر، من أين تكون الفتنة، والنبي ﷺ ما ذكر ذلك بقوله.

المثال الرابع

لمّا بيّن النبي ﷺ للصحابة ساعة الإجابة في يوم الجمعة، فإنه قال، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم قائم يصلي فسأل الله خيرًا إلا أعطاه الله إياه». إلى هنا ينتهي حديث النبي القولي، إلا أنه استخدم قرينة حالية بيده توضح أن هذه الساعة قليلة.

وأخذ ذلك الصحابة عنه ﷺ ونقلوه إلينا، قال أبو هريرة... وقال (أشار) بيده ووضع أنملته على بطن الوسطى والخنصر، قلنا يزهدها (يقللها). (صحيح البخاري ٥٢٩٤).

فائدة: في ساعة الإجابة يوم الجمعة

اختلف العلماء في تعيين هذه الساعة على

ثلاثة وأربعين قولاً، ذكرها الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ورجح الحافظ أنها آخر ساعة من اليوم بعد صلاة العصر، وإليه ذهب الجمهور من الصحابة والتابعين والأئمة، وأجاب عن الأحاديث التي دلت على أنها وقت الصلاة - كما في صحيح مسلم - بين أن يجلس الإمام على المنبر إلى أن يقضي الصلاة، بأنها مرجوحة، وقد أُعل هذا الحديث بالانقطاع والاضطراب، وهو مما استدركه الدارقطني على مسلم. (نيل الأوطار).

ويؤيد ما ذهب إليه الحافظ ابن حجر: حديث جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعة لا يوجد فيها عبد مسلم يسأل الله عز وجل شيئًا إلا آتاه إياه فالتمسوها آخر ساعة بعد صلاة العصر». (رواه أبو داود والنسائي، واللفظ له وغيرهما، وهو في صحيح الترغيب والترهيب).

وأما حديث مسلم بأنها وقت صلاة الجمعة، فهو مما تتبعه الدارقطني في كتابه «التتبع»، وأعله بالانقطاع، وأيده الحافظ ابن حجر في الفتح (٢ / ٤٢٢)، وقال في الكلام عليه: فإنه أعل بالانقطاع والاضطراب، وقال أيضًا عن حديث مسلم في بلوغ المرام: ورجح الدارقطني أنه من قول أبي بردة. (موقوف عليه).

وقد جمع ابن القيم في «زاد المعاد» بين الحديثين فقال: عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: الساعة التي تذكر يوم الجمعة، ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس، وكان سعيد بن جبير إذا صلى العصر لم يكلّم أحدًا حتى تغرب الشمس، وهذا قول أكثر السلف، وعليه أكثر الأحاديث، ويليه القول بأنها ساعة الصلاة، وبقية الأقوال لا دليل عليها.

وعندي - القائل ابن القيم - أن ساعة الصلاة ساعة ترجى فيها الإجابة أيضًا، فكلاهما ساعة إجابة، وإن كانت الساعة المخصوصة هي آخر ساعة بعد العصر... ثم قال: لأن لاجتماع المسلمين وصلاتهم وتضرعهم وابتهالهم إلى الله تعالى تأثيرًا في الإجابة فساعة اجتماعهم ساعة ترجى فيها الإجابة وعلى هذا تتفق الأحاديث كلها.

قُلْتُ: النص - حديث جابر - رفع الخلاف، وأنها آخر ساعة بعد العصر، وقد علمت أن حديث تحديدها وقت صلاة الجمعة أعلَّه أهل العلم.

ولا شك أن وقت صلاة الجمعة واجتماع المسلمين فيها من مواطن الدعاء المرجو إجابته من الله تعالى، وهي مواطن متعددة، لكن يبقى تحديد الساعة المعينة المخصوصة بأنها بعد صلاة العصر، والله أعلم.

المثال الخامس

عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ ثلاثًا» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين. وكان متكئًا فجلس فقال: ألا وقول الزور، وشهادة الزور، ألا وقول الزور، وشهادة الزور، فما زال يقولها حتى قلت: ليته يسكت. (صحيح البخاري ٥٩٧٦).

فانظر إلى القرينة الحالية التي نقلها لنا أبو بكرة - رضي الله عنه - راوي الحديث، وهي جلوس النبي ﷺ، بعد أن كان متكئًا، بينت مدى اهتمام النبي ﷺ بحرمة قول الزور وشهادة الزور.

يقول الحافظ ابن حجر في الفتح - في شرحه للحديث - وسبب الاهتمام بذلك (أي من النبي ﷺ) كون قول الزور أو شهادة الزور أسهل وقوعًا على الناس والتهاون بها أكثر، فإن الإشراك ينبو عنه قلب المسلم، والعقوق يصرف عنه الطبع، وأما الزور فالحوامل عليه كثيرة كالعداوة والحسد وغيرهما، فاحتيج إلى الاهتمام بتعظيمه، وليس ذلك لعظمها بالنسبة إلى ما ذكر معها من الإشراك قطعًا، بل لكون مفسدة الزور متعدية إلى غير الشاهد، بخلاف الشرك فإن مفسدته قاصرة غالبًا. (٣١١ / ٥).

- أما قول الصحابة: فما زال يقولها

كررها) حتى قلنا: ليته سكت: أي شفقة عليه، كراهية لما يزعجه، وفيه ما كانوا عليه من كثرة الأدب معه ﷺ والمحبة له والشفقة عليه.

المثال السادس

عن عبد الله رضي الله عنه قال: خطَّ النبي ﷺ خطًا مربعًا، وخط خطًا في الوسط خارجًا منه، وخط خططًا صغارًا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال: هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به - أو قد أحاط به - وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا. (صحيح البخاري ٦٤١٧).

فعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ينقل لنا القرينة الحالية في الحديث وهي استخدام النبي ﷺ لشكل توضيحي يبين به ما أراده في الحديث، ليكون أبين وأوقع في نفس المتلقي بخروجه عن المألوف من القول فقط بدون توضيح، ولأن الحديث يتناول قضية الإنسان الكبرى في هذه الحياة، وهي غفلته وطول أمله الذي يتخطى به حدود عمره المقدرِ له.

كما يقول النبي ﷺ: لا يزال قلب الكبير شابًا في اثنتين: في حب الدنيا، وطول الأمل. (صحيح البخاري ٦٤٢٠).

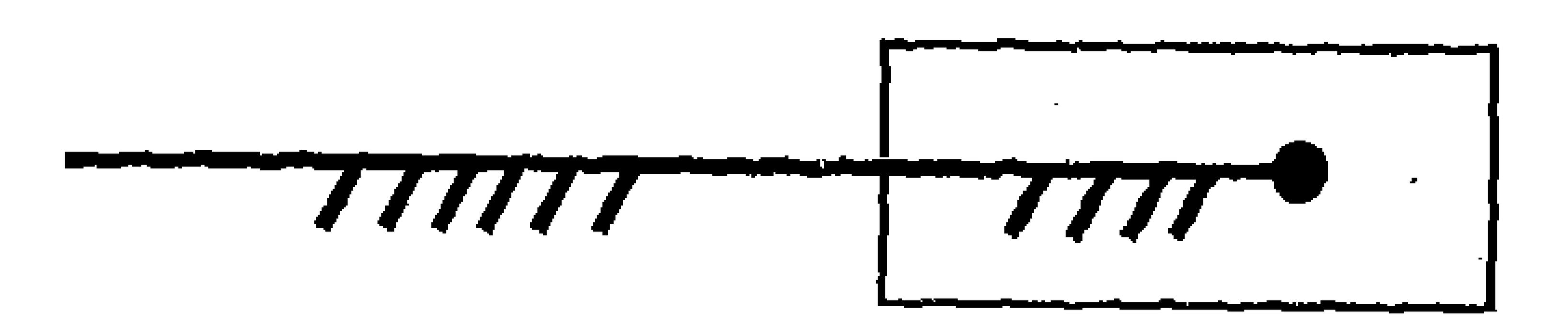
وقال أيضًا ﷺ: يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنتان: حب المال، وطول العمر. (صحيح البخاري ٦٤٢١).

فيتولد من طول الأمل الكسل عن الطاعة، والتسويف بالتوبة، والرغبة في الدنيا، والنسيان للآخرة، والقسوة في القلب، كما قال تعالى: «فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ».

والأمل في حد ذاته ليس مذمومًا، فلولا الأمل ما هنأ أحد بعيش ولا طابت نفسه أن يشرع في عمل من أعمال الدنيا، وإنما المذموم منه الاسترسال فيه وعدم الاستعداد لأمر الآخرة.

وما أجمل النصيحة التي نصح بها أهل العلم قارون: «وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ» [القصص: ٧٧].

وأورد الحافظ ابن حجر في الفتح عدة أشكال لما خطَّه النبي ﷺ، ورجح منها التالي:



المربع: هو الأجل، الإنسان النقطة التي بداخل المربع.

الخط داخل المربع: هو الأمل الذي يطول به فينسى أن له أجلاً محيطًا به، الخطوط الصغيرة: هي الأعراض، جمع عَرَضٍ، وهي الآفات العارضة له، فإن سلم من هذا لم يسلم من هذا، وإن سلم من الجميع ولم تصبه آفة من مرض أو فقد مال أو غير ذلك بغَتَهُ الأجل المحيط به، وعبّر النبي ﷺ بالنهش، وهو لدغ ذات السم (كالعقارب والحيات)، مبالغة في الإصابة والإهلاك. (فتح الباري ٢٤١، ٢٤٢ / ١١ بتصرف يسير).

المثال السابع

عن علي بن ربيعة قال: شهدت عليًا وأُتي بدابة ليركبها، فلما وضع رجله في الركاب قال: بسم الله، فلما استوى على ظهرها قال: الحمد لله، ثم قال: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون، ثم قال: الحمد لله، ثلاث مرات، ثم قال: الله أكبر، ثلاث مرات، ثم قال: سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ثم ضحك، (فقلت): يا أمير المؤمنين، من أي شيء ضحكت ؟ قال: رأيت رسول الله ﷺ فعل كما (مثل ما) فعلت، ثم ضحك، فقلت: يا رسول الله، من أي شيء ضحكت ؟ قال: إن ربك يعجب من عبده إذا قال اغفر لي ذنوبي، يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري. (صحيح سنن أبي داود والترمذي وغيرهما).

- فعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، نقل لنا ضحك النبي ﷺ - وهي قرينة حالية متصلة - لإقرار العبد لربه بالذنب وطلب المغفرة منه

سبحانه: «وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ».

فائدة: صفة العجب لله تعالى مثلها كمثل سائر الصفات، نثبتها لربنا سبحانه وتعالى، مع تنزيهنا لربنا تعالى عن مشابهة الخلق. قال تعالى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» [الشورى: ١١].

مع قطع الطمع عن إدراك حقيقة وكنه هذه الصفات: «وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا» [طه: ١١].

- يقول ابن تيمية رحمه الله في مذهب السلف عن الصفات: ولا يكادون يفهمون من الإثبات التشبيه، ولا من التنزيه التعطيل، هذه هي القاعدة عندهم: إثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل، وليس عجبه سبحانه ناشئًا عن خفاء في الأسباب أو جهل بحقائق الأمور، كما هو الحال في عجب المخلوقين، بل هو معنًى يحدث له سبحانه على مقتضى مشيئته وحكمته عند وجود مقتضيه، وهو الشيء الذي يستحق أن يُتعجب منه. (شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين).

فصفة العجب لله جل وعلا ثابتة على ما يليق بجلاله وعظمته.

القسم الثاني: القرائن الحالية المنفصلة عن الخطاب

وهي القرائن التي لا تكون في النص ذاته، وإنما تكون في نصوص أخرى، وتساهم في فهم النص محل الدارسة، وهذا يكون في أسباب النزول للآيات القرآنية، وأسباب الورود للأحاديث النبوية، وفي بنية الخطاب المتمثلة بعادات المخاطبين في أقوالهم وأفعالهم ومعهودهم في معاني الألفاظ، وسنفصل الكلام حول هذه العناصر.

أولا: أسباب النزول

وهي المواقف والأحوال التي اقتضت نزول النصوص، وأسباب النزول لها أهميتها في فهم المراد من النص، يقول ابن تيمية: معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب. (مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، السياق وأثره د. عبد المجيد السوسوة).

ويقول الواحدي: لا يمكن معرفة الآية دون الوقوف على قصتها، وبيان سبب نزولها.

وقال ابن دقيق العيد: معرفة سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن. (المدخل لدراسة القرآن الكريم، د. محمد أبو شهبة).

وسبب النزول قد يكون سؤالاً وُجه إلى النبي ﷺ، أو واقعة حدثت في زمنه ﷺ، فتنزل الآيات للرد على هذا السؤال، أو لبيان ما يتعلق بهذه الحادثة، وقبل أن نضرب الأمثلة، نبين قاعدة هامة تتعلق بأسباب النزول:

أن العبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب:

وهذا الأصل اتفق عليه المحققون من أهل الأصول وغيرهم، فمتى راعيت هذه القاعدة حق الرعاية، وعرفت أن ما قاله المفسرون من أسباب النزول إنما هو على سبيل المثال لتوضيح الألفاظ، وليست معاني الألفاظ والآيات مقصورة عليها، فقولهم نزلت في كذا وكذا، معناه: أن هذا مما يدخل فيها، ومن جملة ما يراد بها، فإن القرآن إنما نزل لهداية أول الأمة، وآخرها، حيث تكون وأنى تكون.

والله تعالى قد أمرنا بالتفكر والتدبر لكتابه، فإذا تدبرنا الألفاظ العامة، وفهمنا أن معناها يتناول أشياء كثيرة، فلأي شيء تخرج بعض هذه المعاني، مع دخول ما هو مثلها ونظيرها فيها. (القواعد الحسان في تفسير القرآن للسعدي).

فالأصل أن العام شامل لجميع أفراده، وصورة السبب (سبب النزول) قطعية الدخول في النص.

وللحديث بقية إن شاء الله رب العالمين.

وسائل التغريب في بلاد المسلمين

الحلقة الثانية

إعداد/ أسـامـة سليمـان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

بعد أن تناولنا الإرساليات العلمية إلى بلاد الغرب بغرض صنع مفكرين يحملون فكر الغرب وينادون به، نتحدث عن باقي وسائل التغريب في بلاد المسلمين والتي منها:

١- ترجمة كتب المستشرقين والمفكرين الغربيين

قاد العائدون من البعثات العلمية في أوربا حركة ترجمة كتب المستشرقين الحاقدين على الإسلام، الذين قاموا بأعمال فكرية غرضها الأساس تشويه مصادر التلقي عند المسلمين وإثارة الشبهات والدسائس الحاقدة بهدف تربية جيل إسلامي مفصول عن دينه وأمته، وقد أحدثت تلك الكتب زعزعة عند ضعاف الإيمان، والأدهى من ذلك أن من تربى على هذه الكتب تولى القيادات الفكرية والعلمية في العالم الإسلامي، ونتيجة لهذا التيار الاستشراقي ظهر جيل يحمل عقيدة التقريب بين الإسلام والحضارة الغربية كان من آثاره:

١- وضع تفسير جديد لمفاهيم الإسلام يلائم الفكر الغربي.

٢- محاولة إيجاد نقاط التقاء بين الإسلام والفكر الغربي مع تباينها.

٣- محاولة إعادة تشكيل الإسلام في قالب غربي أوربي عصري بهدف ضرب الإسلام وإبعاده عن واقع الأمة، وكان من أبرز هذه الكتب: كتاب «دراسات إسلامية» لجولد تسيهر، وكتاب «الأخلاق في فلسفة أرسطو» ترجمة أحمد لطفي السيد، وكتاب «النقد الاجتماعي» لجان جاك روسو، وكتاب «القانون الطبيعي» لفولتير، ولليهودي اسبنيوزا رسالة في اللاهوت والسياسة والفكر كاتب كتاب «الدين في حدود العقل وحده»، مع الأخذ في الاعتبار أن أوربا تطلق اسم عصر التنوير على عصر هؤلاء الكتاب لأنه مهد لظهور العلمانية وقيام الثورة الفرنسية.

٢- تغريب مناهج التعليم:

وتعد هذه الوسيلة من أخطر الوسائل والتي نجني ثمارها الآن في مدارسنا وجامعاتنا، حيث سعى الغرب إلى تغريب نظم التعليم بكل صورها وغزو مناهج التعليم وتحقق لهم ذلك عن طريق:

١- إنشاء المدارس العلمانية

وخير مثال لذلك قيام اللورد كرومر المعتمد البريطاني في مصر بإنشاء كلية فيكتوريا لتربية جيل من أبناء الحكام والزعماء والوجهاء تحت عين إنجلترا وفي محيط وجهة نظرها.

٢- تغيير مناهج المدارس الوطنية

لقد سعى الغرب بجوار الاحتلال العسكري لبلاد المسلمين إلى وضع مناهج جديدة غرضها تشويه صورة التاريخ الإسلامي وقطع الصلة بين الأجيال المسلمة وإسلامها، ومن أجل ذلك جاء بالقس الإنجليزي - رجل التبشير - دنلوب لوضع مناهج التعليم في مصر المسلمة، فقام هو وتلاميذه بالمهمة خير قيام، حيث اعتنى في مناهجه بالآتي:

١- ضعف التعليم الديني وجعل التربية الدينية من المواد الثانوية غير الأساسية والتي لا علاقة لها بالدرجة الكلية للطالب مما دفع إلى الاستخفاف بها.

٢- تشويه تدريس التاريخ الإسلامي، حيث تُعُمِّد إخفاء الإنتاج العلمي للحضارة الإسلامية وصورت الفتوحات الإسلامية على أنها حركات توسعية مع تشويه صورة خلفاء المسلمين عبر العصور.

٣- إحياء النعرات الجاهلية مع عرضها بصورة مزيفة كتاريخ الحضارة الفرعونية في مصر.

٤- الاهتمام بتدريس اللغة الأجنبية وربط الحصول على الوظائف الكبرى باتقانها، ولنا في الجزائر الشقيقة عبرة حيث صارت لغة المحتل الفرنسي هي لسان الجميع، إلا من رحم ربي.

٥- عرض تاريخ أوربا بصورة لامعة مع الإشادة بعلمائها وأبطالها ليكونوا أسوة أمام أجيال المتعلمين.

تقليص دور الأزهر

بعد أن ظهر لقادة الحملة الفرنسية على مصر مكانة الأزهر في نفوس المسلمين بالإضافة إلى أن زعامته لها القدرة على تحريك جموع المسلمين، لذا كان لابد من إضعاف دور الأزهر، فكانت المؤامرة الأولى، بنفي محمد علي علماء الأزهر الذين لهم دور مؤثر في صفوف المسلمين، وكذا وجه عنايته بطلاب المدارس العلمية الصناعية الجديدة وإرسال طلابها إلى أوربا للدراسة، ثم ولاهم المناصب القيادية، فتقلص الإقبال على الأزهر، وزاد الإقبال على التعليم العام بعد أن أبعد خريجو الأزهر عن المناصب، واقتصرت وظيفتهم على الوعظ وإمامة المساجد، وللقضاء على استقلالية الأزهر نقلت أوقافه إلى وزارة الخزانة، وأنشئت وزارة الأوقاف بميزانية مستقلة، فصار الأزهر يعمل في رحى ولاة الأمور وسياسة النظام الحاكم، ومواصلة لتقليص دور الأزهر نودي بالتطوير في نظامه التعليمي، فدخلت المناهج الاشتراكية والقوانين الوضعية إلى جوار الشريعة الإسلامية، فنشأ من ينادي بالتقارب بين العلمانية والأنظمة الوضعية والإسلام، وفقد خريج الأزهر سمته التي كانت تميزه عن غيره.

٣- تغريب وسائل الإعلام

ولما لوسائل الإعلام من تأثير على الرأي العام عمد الغرب إلى توجيهه لخدمة أهدافه وإعداد من يقومون على ذلك، وقد نجحوا في ذلك إلى حد كبير، يقول المستشرق الإنجليزي جب: «إن الصحافة هي أقوى الأدوات الأوربية وأعظمها نفوذًا في العالم الإسلامي».

ثم بين نتائج الغزو الفكري، عن طريق وسائل الإعلام، فيقول: «إن النشاط التعليمي والثقافي عن طريق المدارس العصرية والصحافة قد ترك في المسلمين من غير وعي منهم أثرًا جعلهم في مظهرهم العام لا دينيين إلى حد بعيد»، ومن نافلة القول أن نقول: إن أول من اهتم بالصحافة في مصرنا جورجي زيدان وسليم تقلا ويعقوب صروف، ولك الحكم أخي القارئ.

وختامًا هناك دور بارز للصحافة في إشاعة الفاحشة والعناية بأخبار الفن والفنانين والرياضة والرياضيين وتمييع عقيدة الولاء والبراء فضلاً عن موالاة الكافرين وإبعاد الناس عن دينهم وآدابه وأخلاقياته.

٤- تحريض المرأة على نبذ الإسلام

عرف الغرب بعد دراسة المجتمعات المسلمة أن من أسباب قوة المجتمع المسلم وتماسكه تفرغ المرأة المسلمة لتربية أبنائها ورعاية أسرتها وحيائها وحفاظها على عرضها وشرفها، فهي المصنع الحقيقي لتخريج الأبطال والمجاهدين بالنفس والمال في سبيل دينهم، لذا سارع الغرب بكل ما يملك إلى وضع خطط لإفساد المرأة فكرًا وخلقًا وسلوكًا، فظهرت الدعوة إلى تحرير المرأة من الحياء والفضيلة إلى الاختلاط والتبرج، فبدعوى تحرير المرأة خلعت المرأة المسلمة حجابها، وأبدت ما حرم الله عليها إبداءه من البدن والزينة، وباسم تعليم المرأة خرجت تخالط الشباب والرجال وهي مائلة مميلة كاسية عارية، وباسم رقي المرأة خرجت إلى النوادي ودور السينما والمسارح وأماكن الفجور واللهو، وباسم المساواة زاحمت الرجال في كل شيء حتى مارست كرة القدم وتولت مناصب لا يصلح لها إلا الرجال، فعملت قاضي وعمدة، بل سافرت بمفردها إلى بلاد الكفر والتحقت بأجهزة الشرطة وخدمة القوات المسلحة، وبسبب هذه الممارسات التي أرادها أعداء الإسلام تصدع بنيان الأسرة وضاع الأولاد وغاب المربي وفقدت الروابط الأسرية، وفشا زنا المحارم وجرائم الاغتصاب والاعتداء على الأعراض، وظهرت جمعيات حقوق المرأة التي كانت في آخر ما نادت به المساواة مع الرجل في كل شيء في الميراث والدية والشهادة، إلى آخر الاعتداءات الصارخة على ثوابت الشريعة، وإلى الله المشتكى.

والله من وراء القصد.

أحكام الدعاء وآدابه

إعداد/ صلاح نجيب الدق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن والاه أجمعين، وبعد:

فإن الدعاء سلوى المحزونين، ونجوى المتقين، ودأب الصالحين، فإذا صدر عن قلب سليم، ونفس صافية، وجوارح خاشعة، وجَدَ إجابة كريمة من رب رحيم، والدعاء له منزلة رفيعة في العقيدة الإسلامية، لذا أحببت أن أذكر نفسي وإخواني الكرام بأمور هامة تتعلق بالدعاء، فأقول وبالله التوفيق:

معنى الدعاء

الدعاء: إظهار غاية التذلل والافتقار إلى الله والاستكانة له. (فتح الباري ١١ / ٩٨).

الدعاء في القرآن: وردت كلمة الدعاء بمشتقاتها المتعددة في القرآن الكريم حوالي مائتي مرة. (المعجم المفهرس ص٣٢٦-٣٣٠).

أنواع الدعاء

الدعاء نوعان:

الأول: دعاء العبادة: وهو الذي يتضمن الثناء على الله تعالى بما هو أهله، ويكون مصحوبًا بالخوف والرجاء.

الثاني: دعاء المسألة: وهو طلب حصول ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره، ودفعه.

والدعاء في القرآن يُراد به هذا تارة، وهذا تارة، ويراد به مجموعهما، وهما متلازمان، فالعبد يدعو لجلب النفع أو دفع الضر دعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة، وقد ورد المعنيان جميعًا في قوله سبحانه: «ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥) وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ» [الأعراف: ٥٥-٥٦]. (فتاوى ابن تيمية ج١٠ ص٢٣٧-٢٥٤).

الحث على الدعاء في الكتاب والسنة

لقد حثنا الله تعالى في كثير من آيات القرآن الكريم وكذلك نبيه ﷺ في سنته المطهرة، على الإكثار من الدعاء في جميع الأحوال.

قال تعالى: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ» [البقرة: ١٨٦].

وقال جل شأنه: «وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» [الأعراف: ١٨٠].

وقال سبحانه: «أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ» [النمل: ٦٢].

وقال تعالى: «وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ» [غافر: ٦٠].

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن

النبي ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة». «وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ». (صحيح أبي داود للألباني حديث ١٣٢٣).

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن ربكم تبارك وتعالى حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً». (صحيح أبي داود للألباني حديث ١٣٢٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه». (صحيح الترمذي حديث ٢٧٦٦).

التوسل المشروع والتوسل الممنوع

قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» [المائدة: ٣٥]، قال ابن عباس: الوسيلة: القربة. وقال قتادة: تقربوا إليه بطاعته، والعمل بما يرضيه. وقال ابن كثير: الوسيلة: هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود. (تفسير ابن كثير جـ٣ ص٥٥).

وسوف نتحدث عن التوسل المشروع والممنوع بإيجاز:

أولاً: التوسل المشروع

التوسل المشروع عند الدعاء، والذي دلت عليه نصوص القرآن والسنة وجرى عليه عمل السلف الصالح، وأجمع عليه المسلمون ثلاثة أنوع هي:

الأول: التوسل إلى الله باسم من أسمائه الحسنى أو صفة من صفاته:

كأن يقول المسلم في دعائه: اللهم أسألك بأنك أنت الرحمن الرحيم، اللطيف الخبير أن تعافيني. أو يقول: اللهم أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن ترحمني وتغفر لي.

ودليل مشروعية هذا النوع قوله تعالى: «وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» [الأعراف: ١٨٠].

وما ذكره الله تعالى من دعاء سليمان عليه السلام: «رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ» [النمل: ١٩].

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «اللهم إني أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت أن تضلني». (مسلم حديث ٢٧١٧).

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا حزبه أمر قال: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث». (صحيح الترمذي ٢٧٩٦).

الثاني: التوسل إلى الله بعمل صالح قام به الداعي

كأن يقول المسلم في دعائه: اللهم بإيماني بك واتباعي لرسولك محمد ﷺ: اغفر لي ذنبي، واعف عني. أو يقول: اللهم إني أسألك بحبي لنبيك محمد ﷺ وإيماني به أن تفرج عني كربي وأن تيسر لي أمري.

ودليل مشروعية هذا النوع من الدعاء قوله تعالى: «الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» [آل عمران: ١٦].

وقوله سبحانه: «رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ» [آل عمران: ١٩٣-١٩٤].

عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «انطلق ثلاثة ممن كانوا قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار

فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لن ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم». (البخاري حديث ٢٢٧٢، ومسلم حديث ٢٧٤٣).

الثالث: التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح الحي

كأن يقع المسلم في ضيق شديد، أو تحل به مصيبة ويعلم من نفسه التفريط في جنب الله، فيذهب إلى رجل صالح على قيد الحياة، يعتقد فيه الصلاح والتقوى والعلم بالكتاب والسنة، فيطلب منه أن يدعو الله له ليفرج كربه ويزيل عنه غمه.

عن أنس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: «اللهم إنا نتوسل إليك بنبينا (أي: بدعاء النبي ﷺ) فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا (أي: بدعاء العباس) فاسقنا، قال: فيسقون». (البخاري حديث ١٠١٠).

ثانياً: التوسل الممنوع

اعلم أخي الكريم أن الدعاء عبادة خاصة بالله وحده، فإذا صُرف هذا الدعاء إلى غير الله، فقد أخَلّ بالتوحيد الذي من أجله خلق الله المخلوقات وأرسل الرسل وأنزل الكتب ؛ ويمكن أن نجمل التوسل الممنوع (المحرم) فيما يلي:

أولا: اتخاذ الأموات من الأنبياء والصالحين شفعاء عند الله تعالى

يجب على كل مسلم أن يعلم أنه لا واسطة في الدعاء بين العبد وبين خالقه سبحانه، قال تعالى: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ» [البقرة: ١٨٦].

ولقد عاب سبحانه على أهل الجاهلية اتخاذهم الأصنام وسيلة إلى الله تعالى حيث قال سبحانه: «وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى» [الزمر: ٣].

وقال جل شأنه: «وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ» [يونس: ١٨].

ثانيا: التوسل إلى الله بجاه أو بحق أحد من الأنبياء والصالحين

اعلم أخي الكريم أن جاه نبينا محمد ﷺ عند الله أعظم من جاه جميع الأنبياء والمرسلين، ومع ذلك لا يجوز لنا أن نتوسل به إلى الله تعالى لعدم ثبوت الأمر به عن النبي ﷺ ولا الصحابة ولا التابعين، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه، وأما ما يرويه بعض الناس بلفظ: «إذا سألتم الله فاسألوه بجاهي، فإن جاهي عند الله عظيم». فهذا حديث باطل ولا أصل له في شيء من كتب السنة. (التوسل للألباني ص٩٤-١٠٢).

ثالثا: التوسل إلى الله بالدعاء عند قبور الأنبياء والصالحين

لا يجوز للمسلم أن يتوسل إلى الله تعالى بالدعاء عند قبور الأنبياء والصالحين ؛ لأن هذا مما نهى عنه النبي ﷺ وحذرنا منه.

عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «اللهم لا تجعل قبري وثنًا، لعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». (حديث صحيح: مسند أحمد جـ٢ ص٢٤٦).

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم». (صحيح أبي داود ١٧٩٦).

شروط إجابة الدعاء

لقد ذكر أهل العلم شروطًا يجب توافرها

حتى يكون الدعاء مستجاباً، نوجزها فيما يلي:

أولاً: الإخلاص في الدعاء

قال تعالى: «وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ» [البينة: ٥].

عن عمر بن الخطاب أن النبي ﷺ قال: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى». (البخاري حديث ١).

ثانياً: أن يكون المأكل والمشرب حلالاً

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يا أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: «يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ»» [المؤمنون: ٥١]، وقال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ» [البقرة: ١٧٢]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر، أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذي بالحرام، فأنى يُستجاب لذلك». (مسلم حديث ١٠١٥).

ثالثاً: عدم الدعاء بإثم أو قطيعة رحم

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا يزال يُستجاب للعبد ما لم يَدْعُ بإثم أو قطيعة رحم، وما لم يستعجل». قيل: يا رسول الله، ما الاستعجال ؟ قال: «يقول: قد دعوت، وقد دعوت، فلم يستجبُ لي، فيستحسر (أي: يسأم ويمل) عند ذلك ويدع الدعاء». (مسلم ٢٧٣٥).

رابعاً: أن يوقن العبد بإجابة الله لدعائه

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يُعجل له دعوته، وإما أن يدخرها لله في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها». قالوا: إذًا نكثر ؟ قال: «الله أكثر». (حديث صحيح: مسند أحمد ج٣ ص١٨).

قال ابن الجوزي: إعلم أن دعاء المؤمن لا يُرد، غير أنه قد يكون الأولى تأخير الدعاء أو يعوض بما هو أولى له عاجلاً أو آجلاً، فينبغي للمؤمن ألا يترك الطلب من ربه، فإنه متعبد بالدعاء كما هو متعبد بالتسليم والتفويض. (فتح الباري ج١١ ص١٤٥).

خامساً: أن يكون الدعاء بالأمور الجائزة شرعاً

فلا يجوز للمسلم الدعاء بأن تكون له منزلة نبي من الأنبياء ونحو ذلك من الأمور المحالة شرعًا، كأن يدعو الله بأن تكون له أجنحة، كالطير يسبح بها في الهواء.

أسباب عدم إجابة الدعاء

يجب على المسلم أن يتجنب أسباب عدم إجابة الدعاء وهي: عدم الإخلاص، وأكل الحرام، والاستعجال في إجابة الله لدعائه، والدعاء بالإثم أو بقطيعة الرحم، أو الشك في إجابة الله تعالى لدعائه، والدعاء بما لا يجوز في شرع الله تعالى.

آداب الدعاء

لقد ذكر أهل العلم آداباً للدعاء ينبغي على الداعي أن يتحلى بها حتى يكون دعاؤه أرجى قبولاً عند الله تعالى، يمكن أن نجملها فيما يلي:

١- الوضوء.

٢- استقبال القبلة.

٣- رفع اليدين تذللاً لله تعالى.

٤- البدء بحمد الله والثناء عليه بما هو أهله والصلاة على نبينا محمد ﷺ.

٥- اختيار جوامع الكلم من القرآن الكريم والسنة المطهرة.

٦- تكرار الدعاء ثلاثًا.
٧- الإلحاح في الدعاء.
٨- خفض الصوت بين السر والجهر.
٩- إظهار التضرع والخشوع.
١٠- التوسل إلى الله بأسمائه الحسنى وأوصافه المناسبة لحال الدعاء.
١١- التوسل إلى الله بالأعمال الصالحة.
١٢- الجزم في الدعاء.
١٣- عدم تكلف السجع في الدعاء.
١٤- تحري أوقات الإجابة الفاضلة.
١٥- ختم الدعاء بالصلاة والسلام على نبينا محمد. (تحفة الذاكرين للشوكاني ص٥٥- ٦٢).

الاعتداء في الدعاء

عن عبد الله بن مُغفل رضي الله عنه أنه سمع ابنه يقول: «اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها». فقال: أي بني، سل الله الجنة، وتعوذ بالله من النار، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء». (صحيح أبي داود للألباني حديث ٨٧).

أنواع الاعتداء في الدعاء

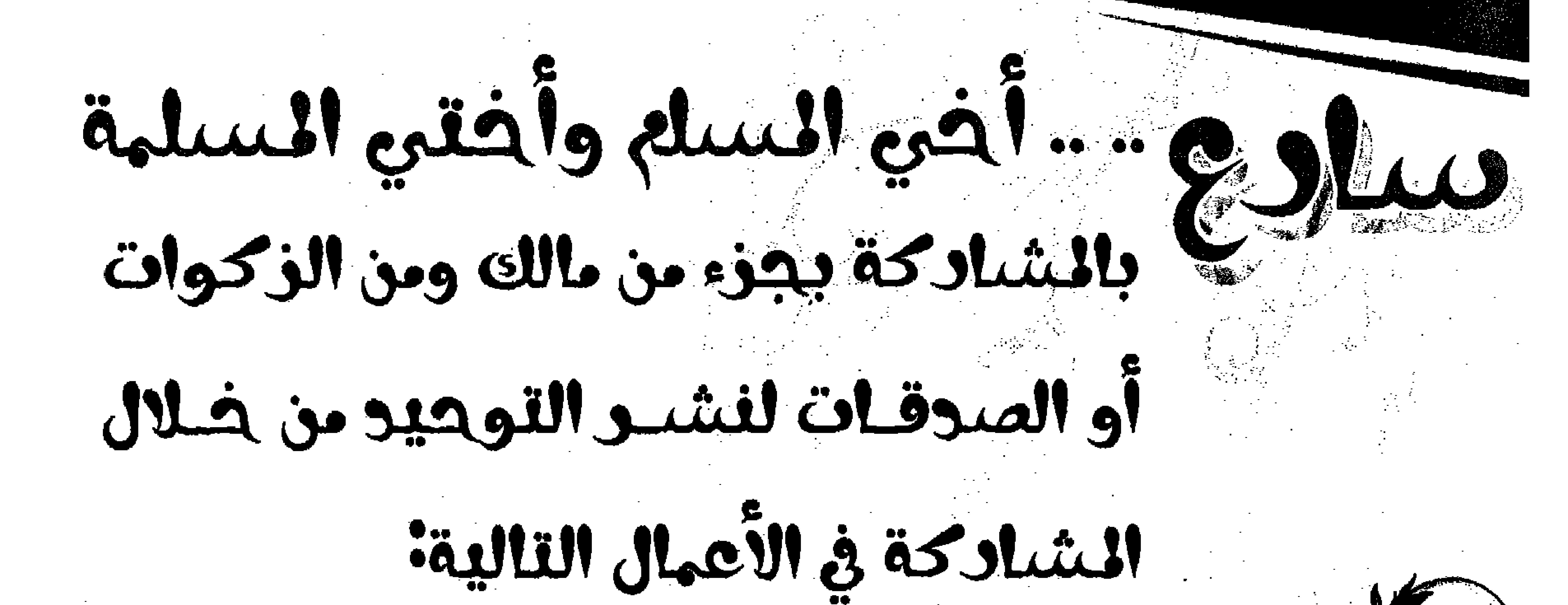
قال القرطبي - رحمه الله -: الاعتداء في الدعاء على وجوه منها:
١- الجهر والصياح.
٢- أن يدعو الإنسان في أن تكون له منزلة نبي أو يدعو في محال ونحو هذا من الشطط.
٣- أن يدعو طالبًا معصية وغير ذلك.
٤- أن يدعو بما ليس في الكتاب والسنة، فيتخير ألفاظ مفقرة وكلمات مشجعة، قد وجدها في كراريس لا أصل لها، ولا مُعول عليها فيجعلها شعاره ويترك ما دعا به رسول الله ﷺ، وكل ذلك يمنع من استجابة الدعاء (تفسير القرطبي جـ٧ ص١٢٩).

أوقات إجابة الدعاء:
ذكر أهل العلم أوقاتًا يكون الدعاء فيها أرجى قبولاً عند الله تعالى يمكن أن نجملها فيما يلي:
١- عقب الوضوء.
٢- عقب الصلوات الخمس المفروضة.
٣- الثلث الأخير من الليل.
٤- بين الأذان والإقامة.
٥- عند نزول المطر.
٦- ليلة القدر.
٧- يوم عرفة.
٨- عند الصوم والسفر.
٩- عند السجود.
١٠- يوم الجمعة.
١١- عند قتال أعداء المسلمين.
١٢- عند الشرب من ماء زمزم.
١٣- عند سماع صياح الديكة.
١٤- عقب قراءة القرآن الكريم.
١٥- عند القلق ليلاً.
١٦- عند اجتماع المسلمين.
١٧- عند التشهد الأخير في الصلاة.
١٨- عند حضور المريض.
١٩- عند حضور الميت.

أصحاب الدعاء المستجاب

١- الآباء الصالحون.
٢- الأبناء البررة بآبائهم.
٣- دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب.
٤- دعوة المظلوم.
٥- دعوة الإمام العادل.
٦- دعوة الصائم.
٧- المسافر في طاعة الله.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه ومن والاه أجمعين.



سارع .. أخي المسلم وأختي المسلمة

بالمشاركة بجزء من مالك ومن الزكوات أو الصدقات لنشر التوحيد من خلال المشاركة في الأعمال التالية:

طباعة كتيب يوزع مع مجلة التوحيد مجانًا تتكلف النسخة خمسة وسبعين قرشًا .. يطبع من كل كتيب مائة وخمسون ألف نسخة.

نشر تراث الجماعة من خلال طبع المجلة وتجليد أعداد السنة في مجلد واحد وذلك لعمل كرتونة كاملة ٣٧ سنة من المجلة.

دعم مشروع المليون نسخة من مجلة التوحيد - نسخة من المجلة لكل خطيب من خطباء الأوقاف والأزهر تصله على عنوانه.

نحن بانتظاركم .. يمكنم المشاركة ودعم ذلك بعمل حوالة أو شيك مصرفي على بنك فيصل الإسلامي. .. فرع القاهرة حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد.



الآن
سارع
بحجز نسختك من المجلد الجديد
موسوعة علمية
لا تخلو منها مكتبة - ويحتاج إليها كل بيت
المجلد الجديد بمقر مجلة التوحيد
مجلة - إسلامية - ثقافية - شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
التوحيد
١٤٢٩
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
مجلة إسلامية ثقافية شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
١٤٢٩
لعام ١٤٢٩ هـ
الآن أصبحت ٣٧ مجلدا من الموسوعة
والآن الكرتونة الكاملة من موسوعة مجلدات التوحيد فقط بـ ٦٨٠ جنيها
وخارج مصر ٢٣٠ دولار